المشرق

ادوار حياة النجوم

للاب رفائيل خنه اليسوعي

يكاد الراصد للنجوم الزُّهر التي رُصعت بها الزرقاء ان يتصوّرها اجراماً نيّرة ثابتة اللمعان بل ثابتة المكان لا يطرأ عليها احد التغيرات والتطوُّرات التي تمتاز بها الاجسام الحيَّة . فشتَّان ما بين هذا الوهم والحقيقة الراهنة المنجلية في العشرين سنة الاخيرة بأكمل جلاء على يد نوابغ الفلكيين ! وقصدُنا في هذه المقالة كشف النقاب عن هذه الحقيقة الغرّاء استنادًا الى اصدق الارصاد واثبت الاختبارات والحسابات . وقد قسمنا هذه المجالة ابواباً شتَّى زيادةً للايضاح

١ طبقات النجوم الاربع

سبقت لنا الاشارة في مقالتنا على قياس بُعد النجوم الى ان نور تلك الكواكب اذا مرَّ بموشور مُثلَّث يتحلَّل على شكل مستطيل الى عدَّة الوان ترتسم على حاجز يوضع وراء الموشور ويُطلق على مجموعها اسم الطَّيف . وفي كل طيف على وجه العموم الوان قوس قزح البسيطة يتخالها خطوط سوداء تختلف موضعاً وعَرْضاً بحسب ماهيَّة النور المحلَّل وبكلام آخر بحسب ماهيَّة العناصر الكيماوية الداخلة في تكوين النجم المرصود . فكلٌّ من تلك الخطوط السوداء هو بمثابة شاهد ناطق بوجود عنصر معلوم كالحديد او الذهب في الكوكب المحلَّل نوره

ولمَّا قابل الفلكيُّون بُعد أرصاد لا تُحصى بين آلاف من اطياف النجوم وقفوا على إمكان نظمها في اربع طبقات ليس الَّا لكل منها ميّزات بيّنة . فطَيف الطبقة

الاولى فيه النزر اليسير من الخطوط السوداء المختصة بعنصري الهيدروجين والهليوم ويكاد لا يوجد فيه ادنى اثر لخطوط المعادن . نضرب مثلاً على هذه الطبقة كوكبة الجوزاء او الجبّار (Orion) وهي من اسطع ما يُرى على صفحات السماء من النجوم . وقد اشتهرت خصوصاً ببهاء نور فقارها ويدها الآخذين بمجامع القارب

أما طيف الطبقة الثانية فانّ خطوط الهليوم فيه اضعفُ وخطوط الهيدروجين اقوى وذلك دليل على كون الغاز الاخير هو الغالب في تركيب جوّ تلك النجوم . ثمّ ان خطوط المعادن المختلفة اكثر واعرض بدون قياس منها في الطبقة الاولى . ومن اشهر كواكب الطبقة الثانية الأبرق (Sirius) من نجوم كوكبة الشعرى اليمانية (Grand Chien) ثمّ النسر الواقع (Véga) التابع لكوكبة السنجة او الاورا (la Lyre)

وطيف الطبقة الثالثة هو اغنى من السابقين بخطوط المعادن ولاسيّما الحديد وعنصر التيتانيوم وهذا معدن ذو حُمرة ضاربة الى الصُفرة وهو من اعمى المعادن على الدوبان . ومن هذه الطبقة نجم السماك الرامح (Arcturus) من انور نجوم هذه الطبقة فضلاً عن كوكبة ضابط العنان (le Cocher) وعن شمسنا التي لا حياة ولا قوام للارض بدونها

اخيراً طيف الطبقة الرابعة يفوق الكل بخطوطه المعدنيّة بل يمتاز عن جميعها بخطوط مختصة بكثير من المواد المركبة كيماويًا . على خلاف كل الخطوط المشار اليها حتى الآن المتعلقة بالعناصر او البسائط . ومن اهمّ تلك المواد المركبة أكسيدات بعض المعادن والسيانوجين (cyanogène) وهو غاز مركب من أزوت وكربون . نضرب مثلاً على نجوم هذه الطبقة كوكبة الجاثي (Hercule)

وخلاصة القول اننا اذا انتقلنا من طيف الطبقة الاولى منحدرين الى طيف الطبقة الرابعة لاحظنا نموًّا متواصلاً في عدد الخطوط وهو دليل على توفُّر العناصر في النجوم . وكذلك ثقل هذه العناصر فانهُ يزداد من طبقة الى طبقة على نمط مطّرد اذ يزيد ثقل المعادن المكتشفة في الطيوف حتى ينتهي الى بعض المواد الكيماوية المركبة في الطبقة الرابعة

ومن غريب الامور ان لكل من الطبقات الاربع لوناً مميزًا فللأولى لون البياض الناصع او الضارب الى الزرقة وللثالثة الصفرة الساطعة كلّ يوم في شمسنا وللرابعة

الحُمرة او اللون النارنجي . ويقال ان في مائة نجم ستين بيضاً وخمسة وثلاثين صفراً وخمسة حمراً

ولكن ليت شعري ما هو سرّ هذه الطبقات المتباينة ظاهراً وباطناً لوناً وتركيباً . وهل هي بدون ادنى تغيير منذ خلقها رب النجوم او فيها بعض ما في الاجسام الحية من التطوُّرات البطيئة المديدة ؟ ذاك ما سنجيب عليه بالايجاز في الباب الآتي

٢ . تطور النجوم او انتقالها من طبقة الى طبقة

مجرَّد هذا العنوان يدلُّ القارئ اللبيب على الشبه الغريب الواقع بين النجوم والاجسام الحية . فكما تُولد هذه ثم تجوز تدريجاً كل ادوار الحياة من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة وهرَم تُنضي به الى الموت هكذا وُلدت الزُّهر يوم خلقها الباري عزّ وجلّ ثم تطوّرت منتقلة من دور الى دور حتى يدركها شبه الفناء . نعم انهُ أُطلق عليها اسم الثوابت اشارةً الى جودها لكنَّ ذلك محمول على الظواهر وفيهِ مغالاةٌ فاحشة . ولا شك في زوال ذلك التأثير متى وقف القارئ على جليّة الامر . فاني ساعرض عليه بغاية الايجاز نظريَّة العلّامة الانكليزي الفلكي الشهير سر لُكير (Sir Lockyer) مكتشف عنصر الهليوم في الطيف الشمسي سنة ١٨٦٩ اي ٢٦ عاماً قبل تحقيق وجود هذا العنصر في تربة الارض . فنظريّة لُكير آئلة الى تعليل الطبقات الاربع المذكورة سابقاً وكشف النقاب عن تشابهها في كلّ النجوم دون استثناء

وهاك اولاً الاختبارات الشهيرة التي استند اليها ذلك العالم . قد لاحظ انه اذا عُرض عنصر كيماوي معلوم على لهيب بسيط ثم على سعير القوس الكهربائي واخيراً على كبد الشرارة الكهربائية — ولا يخفى ان هذه ثلاثة مصادر متزايدة الحرارة — يتغيَّر عدد وشكل الخطوط الطيفيَّة بتغير ماهيَّة مصدر الوَقود . فلستنتج من هذا الاكتشاف الخطير بجارة عظيمة ان البسائط نفسها اذا أُلقيت في مصدر حرارة في غاية الشدّة تتحلّل الى عناصر اولية ابسط منها (proto-éléments) . ورغماً مما كان اوانئذٍ في تصريح الفلكي الانكليزي من الغرابة حيث كان الكيماويون موقنين بامتناع تحليل البسائط فقد جاءت في اوائل العصر الجديد الاجسام المُشعَّة

واشهرها الراديوم مصداقاً لصحة مُدَّعى أُكيِر . فقد وجدوا ان عنصر الهليوم مثلاً متولد من الراديوم مع ان كليهما بسيط في عرف ائمة الكيماويين !

فلخّص نظريّة لكير المؤسسة على تجاربه المشار اليها أنّهُ يُعلّل طبقات النجوم الاربع والتغيرات السابق ذكرها الطارئة على اطيافها تدريجاً بتغير درجة حرارة النجوم في ادوار تطوُّرها المختلفة . واليك بعض الايضاحات على هذا التطوُّر .

يرتأي أُكير مع لفيف الفلكيين المعدودين ان كلّ نجم يتولّد من تكاثف المادّة السديمية المنتشرة قبل ذلك في الفضاء . وانّ الجامع لشتاتها هو قوة الجاذبية التي تجمل ملايين الذرّات المتباعدة المتبعثرة تتهافت سريعاً متجهةً الى مركز مجموع تلك المادّة المتكوّنة منها . وفي هذه الحركة التكاثفيّة يحدث بين تلك الذرّات صدمات يزداد عددها بازدياد التكاثف نفسهِ كما يلوح من اول وهلة . فينتج عن ذلك حرارة تنمو درجتها نموّاً متواصلاً الّا انها لا تتعدّى حدّاً معلوماً . لماذا ؟ لان التكاثف اذا بلغ درجةً ما من الشدّة لا يزيد بعدها الّا بغاية البطء فنموّ حرارة النجم التابعة لهذه الزيادة يقلّ بسبب تمهُّلها عن كمّية الحرارة التي يفقدهـا النجم بإشعاعهِ المتوالي . ومن البديهي ان الحرارة لا تزال تكبر حتى ينطفئ النجم بعـد ادراكـهِ معظم حرارتهِ وغاية ضيائهِ . فاذا شبّهنا مبلغهُ ذاك بشباب الانسان — وما اصدق واجمل هذا التشبيه ! — فلا بُدّ من الاقرار بان لكل نجم ولادةً وطفولـة وشباباً وكهولةً وشيخوخة وهرماً يعقبهُ موت كما يحدث في كل انسان . لعمري مَن كان في الجيل الاخير يتصوّر مثل هذه المجانسة العميقة بين اجرام سمّاها الثوابت علماء الحافقين على توالي العصور وبين ابن آدم ولعلهُ اكثر من كل ما سواه تغيّراً وتطوراً في جسمه بل وفي نفسه !

فللكواكب اذاً على رأي أُكير دَوْران جوهريان تُقسم اليهما حياتها : دورُ نموّ متواصل في الحرارة يليهِ دور تناقص يفضي الى الانطفاء . وهو بـدون مراء موتٌ حقيقي لتيرات السماء . ففي الـدور الاول تنحلُّ العناصر المركّبة الثقيلة الى ما هو ابسط واخفّ منها . وفي الدور الثاني تنضمّ الذرّات المنفصلة بالتحليل فتعيد العناصر الاصلية . ثم يترتّب على وجود درجة حرارةٍ لا متجاوز وراءها في تطوّر كل نجم انّ بعض الزُّهر البالغة درجـة حرارة معيّنةً هي في دور النشوء والبعض الآخر في دور

النقصان والانحطاط غير ان كل كوكب اجسم واكثف جرماً بدون قياس في الدور الاول منه في الثاني نظراً الى دوام تكاثفه في اثناء تطوراته المختلفة المتتابعة

وقد ابتكر الفلكي الفرنسوي نُرْدْمَن (Nordmann) من نحو عام طريقة مبنية على البصريات لقياس درجة حرارة النجوم اسفرت عن نتائج أتت مؤيدة باجلى منوال لنظرية لكير المبنية على التحليل الطيفي. ومنها ظهر بالكل بيان ان نجوم الطبقتين الاولَيين البيضاء او الزرقاء هي اشد النجوم حرارة فسطح بعضها تفوق حرارته على عشرين الف درجة من المقياس المئوي والبيضاء احرُّ من الزرقاء. ذلك ما يغير لنا كون طيف الاولى يكاد لا يحتوي سوى خطوط الهيدروجين والهليوم اما طيف الاخرى فانهُ يشمل زيادةً عن ذلك خطوط كثير من المعادن التي كانت هناك متحللة بسبب فرط الحرارة الى عناصر اولية ابسط منها مجهولة في كيميائنا الارضية (١)

---

(١) ان وجهة الكيمياء العصرية هي القول بوحدة المادة رغماً من اختلاف خواص العناصر المتبرة اوليةً وبسيطةً حتى اواخر الجيل المنصرم وقد جاءت الاكتشافات المتواترة في الاربعين سنةً الاخيرة مؤيداً قوياً لصحة هذه النظرية او اقلَّهُ لارجحيتها. وحسبنا هنا الاشارة الى بعض تلك الاكتشافات الغريبة: برهن الكيماوي الفرنساوي پليغو (Péligot) على كون معدن الاورانيوم مركباً. ومثل ذلك فعل فون ولسباخ (von Welsbach) بخصوص عنصر الديديم (didyme) وكذلك أوربان (Urbain) اثبت تركيب الإيتربيوم (ytterbium). ومن المعلوم ان بعض أملاح الراديوم المحلَّلة في الماء يتصاعد منها غاز لا يلبث ان يتحول في ظرف بضعة ايام الى عنصر الهليوم المعدود من البسائط ولم يكن من قبل ادنى اثر لهُ في تركيب ملح الراديوم المحلَّل. وحول السنة ١٩١١ صرَّح السر وليم رَمْسيه (Ramsay) النابغة الانكليزي بان الغاز السابق ذكرهُ يُحوِّل النحاسَ وهو من البسائط كما لا يخفى الى عنصرَين بسيطين آخرين اعني السوديوم والليثيوم

ولعلَّ اسطع الشواهد على صحة نظرية وَحْدة المادة هو الآتي بيانهُ: من الثابت ان المرقب بُربنا في بعض جهات الجَلَد شبه سحائب ضاربة الى البياض يدعوها عجزةً أثر التحليل الطيفي لنورها عن كون كلٍّ منها كَتْلةً هائلة الحجم تحتوي على نحو ستة غازات متأججة مشتعلة منها الهيدروجين والهليوم وعنصر جديد لا يوجد في غير تلك الاجرام السماوية المدعوّة بالغرنساوية (nébuleuses) اي السحابيات فأطلق عليهِ لذلك اسم نبوليوم (nébulium). ومن جهة اخرى لا يختلف اليوم اثنان من الفلكيين في كون منشأ كل نجم هو من تلك السحابة وانَّ طيف النجوم ولاسيما الصفراء والحمراء يشمل خطوطاً عديدة شاهدة على وجود معادن كثيرة في النجم المحلَّل نورهُ. فيلزم حينئذٍ تأكيد كون هذه المعادن المعدودة بالعشرات والمتبرة من البسائط تكوَّنت شيئاً فشيئاً من عناصر السحابيَّة الاصليَّة القليلة — وبرتأي العلماء انه لو كان

والنجوم الصفراء من الطبقة الثالثة كالشمس ظهرت دون كواكب الطبقتين الاوليين حرارةً وفقاً لأقيسة تُزدمن. وذاك نقصان الحرارة(١ يوقفنا على سبب ازدياد خطوط المعادن في طيف تلك النجوم الصفراء فيه نرى خطوط الحديد والتيتانيوم والتيكل والكلسيوم والنحاس بيد ان خطوط الهيدروجين تصبح ضئيلةً الاثر الدالّ على نقصان كثافة الجوّ الهيدروجينيّ المحيط بتلك الثوابت

اما النجوم النارنجيّة والحمراء فقد اتضحت دون سائر النجوم حرارةً والحمراء دون النارنجيّة وقد عرفتنا الاقيسة المتعدّدة ان درجة حرارة هذه كواكب الطبقة الرابعة تقارب معظم ما توصلنا اليه على الارض اعني درجة حرارة القوس الكهربائي البالغة نحو ٤٠٠٠ درجة من المقياس المئوي . فبذلك وقفنا على سبب تضاؤل ثم تلاشي خطوط الهيدروجين في طيف تلك النجوم وازدياد الخطوط المعدنية بل ظهور خطوط جديدة مختصّة ببعض الموادّ الكيماوية المركبة ولاسيما أكسيدات بعض المعادن ثم السيانوجين

واذا عُدنا الآن الى مقابلتنا السابقة بين ادوار حياة النجم والانسان لاحَ لنا كالشمس في الضحى ان الانجم البيضاء والزرقاء في عنفوان شبابها والصفراء في سن الكهولة والنارنجية في الشيخوخة والحمراء في منتهى الهرم على وشك الانطفاء . لعمري ما اعظم واجل المشاهد الجديدة التي يرفع العلم عنها النقاب فتتجلى بحسنها الفتان وجلالها الساحر امام انظارنا الطَّرِبة المتذهلة ايَّ انذهال !

أمّا طول ادوار حياة تلك الثوابت فحدّث عنه ولا حرج اذ ان بعض انتة

لدينا مصادر حرارة تضاهي ما بالنجوم ايسر علينا تحليل كلّ البسائط واعادتها الى عنصر اوّلي واحد يرجّح كونه الهيدروجين

وبناء على كل هذه الاكتشافات الحديثة المتضافرة لتأييد وحدة المادّة فحجرُ الفلاسفة المعروف ايضاً باسم الحجر الكريم الذي طالما أجهد كيماويو القرون الوسطى ولاسيما العرب فكرتهم الوقّادة وبذلوا مساعيهم واموالهم للحصول عليه بقصد تحويل كل المعادن الى ذهب لم يكن امرًا مستحيلاً كما وهم سواد العلماء في القرون الاخيرة حتّى غرّة الجيل المشرّفين . اما الآن فقد شاعت نظرية وحدة المادّة شيوعاً ينبئنا بظفرها التام في المستقبل القريب . (راجع الصحيفة ١٩٨ من عدد آذار للمشرق)

١) هذا النقصان نسبي فان درجة حرارة الجوّ الشمسي تبلغ بعض الاحيان ٨,٠٠٠ درجة من القياس المئوي !

الفلكيين كالكاهن الفرنسوي مورو (Moreux) يقدّرون ان مدّة كل منها تتراوح مليون عام ومليون جيل !

طريقة نُردمن لقياس درجة حرارة النجوم جاءت بالشواهد الساطعة على صحّة نظريّة لُكير اعني تناقص الحرارة تدريجاً من الطبقة الاولى الى الرابعة او بعبارة اخرى من دور البياض الذي يبلغ فيه النجم معظم حرارته الى دور الحمرة وهو المنبئ بالانطفاء القريب

ومعظم درجة الحرارة تختلف باختلاف النجوم ولاسيّما باختلاف ثقلها . فبازدياد هذا تزداد قوة تجاذب ذرّات النجم في تكاثفه فتكثر الحرارة الناجمة عن تصادم تلك الذرّات كما سبقت الاشارة . ومن جهة اخرى فكميّة الحرارة التي تخسرها الكواكب بالاشعاع تنقص بمقدار عظم ثقله . كما ان الكواة تحفظ حرارتها مدة يزيد طولها بنسبة وزن الكواة — وبناء على ذلك فكما انه يوجد كواكب اثقل من الشمس زاد معظم درجة حرارتها عمّا كان في ماضي شمسنا هكذا نعرف نجوماً اخفّ من الشمس لم تدرك ولن تُدرك درجة حرارتها حاضراً مع انها بعيدة عن درجة الحرارة العظمى المنقضي زمانها منذ آلاف اعوام

ومن اغرب الامور لأول وهلة ان كل النجوم التي وزنها الفلكيّون بميزان أرصادهم وحساباتهم العميقة لا يوجد بينها ما يفوق ثقل الشمس تفوّقاً يقارب مليون ضعف مثلاً . وذلك من القرابة بمكان نظراً الى عدد النجوم الهائل . فقد حدس بعض ائمة علم الهيئة ان خارطة الجلد المبنيّة على التصوير الشمسي التي يتضافر منذ سنين عديدة اعظم مراصد العالم على رسمها ستشمل عشرة ملايين كواكب !

وممّا اوضحهُ من مدّة قريبة المستر ادكتن (Eddington) النقّاب عن السرّ العجيب السابق ذكره ما معناهُ قال : ان في باطن الكرة النجمية قوّتين متعاكستين الاولى دافعة عن المركز (centrifuge) وهي ناجمة عن كون النور يُحدث ضغطاً على الذرّات المعترضة لهُ في طريقهِ وقد صاغ العلماء دواليبَ بغاية الصغر تدور بمجرّد قوة النور في وعاء فُرّغ من الهواء لتسهيل الدوران . اما القوة الثانية فهي التجاذب العامّ الجاذبة كل اجزاء النجم الى مركزه (centripète) . وقد عرف ادنكتن بالحساب انّ القوة الجاذبة تساوي عشر مرات بنيف القوة الدافعة في الكواكب التي

ثقلها اقل من نصف ثقل الشمس . امّا التي وزنُها عشرة اضعاف وزن الشمس فتتساوى فيها القوّتان المتضادتان . وبناء على ذلك لا عجب في عدم وجود كواكب ثقلُها مليون ضعف ثقل شمسنا فلو وُجدت لتشتتت بعد قليل كل ذرّاتها شذر مذر بسبب التفوّق العظيم لقوة النور الدافعة على قوة التجاذب . وخلاصة القول ان الفرق بين اكبر النجوم واصغرها لا يزيد نسبةً عن الفرق بين العلوج والزعانف في العائلة البشرية

*

وقد سبق لنا القول ان بعض الزُهر البالغة درجةً معيّنة من الحرارة هي في دور النشوْ والبعض الآخر في دور النقصان غير ان حجم كل كوكب اعظم كثيرًا في الدور الاول منه في الثاني نظرًا الى دوام تكاثفه . وما عسى ان تكون درجة سطوعه في هذين الدورين من حياته ؟ في دور النمو اعني عند ازدياد حرارته يزداد معها مقدار لمعان او اشعاع كل متر مربّع من سطحه بيد ان هذا لا يزال يتناقص بسبب التكاثف فينتج من توازن زيادة الإشعاع ونقصان السطح المُشعّ ثباتُ درجة لمعان الكوكب في دور نشوئه اي حتى بلوغ اللون الابيض . اما في دور نقصان الحرارة فالاشعاع ومساحة السطح يصغران معاً بالتدريج فيترتب على ذلك تناقص متواصل في درجة اللمعان

وقد جاءت أرصاد عديدة دوّنها مؤخرًا الاستاذ رُسِل (Russel) مصداقاً يؤكد لنا صحة الاعتبارات السابقة التي هي بمثابة مُلحق لنظريّة لكير واليك بيان ذلك

من المعلوم ان الفلكيين قسموا الكواكب الى نحو ١٨ طائفة بحسب درجة لمعانها سواء كان ظاهرًا للعيان او محجوباً عن الانظار . لكن كافياً للتأثير في جُليدة جهاز التصوير الشمسي . ثم انهم عرفوا بالحساب بناء على معرفة المسافات الفاصلة بين الارض وكثير من النجوم ماذا تكون درجة لمعان كلٍّ منها اذا جُعلت كلها على بعدٍ واحد معلوم من ارضنا . فلنفرض ان الشمس يكون لها في هذه الظروف الدرجة الخامسة من اللمعان . فالارصاد المشار اليها سابقاً اعلمتنا ان درجة سطوع النجوم التابعة لكل من الطبقات الاربع تكون حينئذٍ امراً ثابتة على وجه التقريب وهي الدرجة الاولى اي معظم اللمعان وامّا متناقصة بالتدريج من الدرجة الرابعة الى الحادية عشرة وفقاً لطبقة النجم . ومن البديهي ان نجوم الطبقة الاولى اعني البيضاء

هي التي في الدرجة الرابعة من السطوع او في ما دونها قليلًا بخلاف كواكب الطبقة الرابعة الحمراء التي في الدرجة الحادية عشرة او في ما يعلوها يسيرًا

وماذا يُستخلص من كل هذه الارصاد الغريبة ؟ ان النجوم المُحصاة في الدرجة الاولى هي التي في دور نشوئها . وقد بيّنا آنفاً بمجرّد الحجّة العقليّة ان درجة لمعانها تبقى اوانئذ بدون تغيير بسبب التوازن بين ازدياد الاشعاع التابع لنموّ الحرارة ونقصان مساحة سطح الكوكب الناجم عن تكاثفه . اما النجوم المتراوحة بين الدرجة الرابعة والحادية عشرة بحسب طبقتها فهي التي في دور النقصان والانحطاط . وقد سبق لنا البرهان على التناقص المتواصل في لمعانها بداعي ميّة نقصان الاشعاع وتصاغر المساحة السطحية — ثم ان نجوم الدرجة الاولى ذات عظم جبّاري نسبة الى القسم الاخير من الثوابت لان مدة التكاثف أقصرُ فيها بدون قياس . والحالة هذه أفليست الارصاد الحديثة من اوضح الشواهد على صحّة نظريّة العلّامة لُكير وقد ابتكرها بعد نحو ثلاثين عاماً من الاشغال والدروس التي تعجز دونها عزائم الابطال .

ويليق بنا قبل ختم هذا الباب إلقاء الانظار الى ان الشمس في اعتباراتنا السابقة هي في درجة اللمعان الخامسة . ولما رأينا ان الكواكب التي في دور النشوء حائزة على الدرجة الاولى في طول مدّة ذلك الدور فالنتيجة الواضحة هي ان الشمس في دور النقصان . ويؤيد ذلك كونها ذا لون اصفر وهو الميّز للطبقة الثالثة وهي وسط دور الانحطاط . وان مسّت الحاجة الى تأييد آخر فهو كون ثقل الشمس النوعي يوازي مرّة ونصف ثقل الماء وذلك ابلى دليل على كون تكاثفها بلغ درجة شديدة لا احتمال لوقوعها بدور النشوء . وبهذا الصدد اذكر نُكتة لطيفة للفلكي الفرنساوي الشهير نُردمن المنوّه به سابقاً حيث قال في معرض كلامه عن انحطاط الشمس : « ان اوقاتها معدودة اعني آلافاً من الاجيال ! »

٣ نسبة عدد النجوم الثابتة والمتناقصة

هذا المشكل العويص طرق بابه اخيرًا المسيو كروملين (Crommelin) وسبب صعوبة حلّه كون النجوم النامية اكبر واسطع من سواها كما رأينا في الباب السابق . فهي ترسل لنا نورها من مسافات ابعد كثيرًا من غيرها التي تستطيع ان تبعث الينا

اشتّتها . فيتعذر علينا والحالة هذه ان نجد النسبة الحقيقية بين عدد الزُهر النامية وعدد المنحطّة . ولكن المسيو كرومبلين ابتكر بعقله النيّر وسيلةً بسيطة لحلّ هذه العقدة ولو جزئيًا . فانهُ امعن النظر في خمسة وعشرين نجماً من اقرب النجوم الينا فوجد فيها ثلاثةً نورُها يفوق ٤ اضعاف نور الشمس . واربعة نورها بين ٤ اضعاف والثلث . وخمسة نورها بين الثلث و $\frac{1}{20}$ و ١٣ نورها دون $\frac{1}{20}$. وقد حذا الفلكيون حذو كرومبلين وطبّقوها على طائفة نجوم اكثر من السابقة بدون قياس وابعد منّا فأسفرت اقيستهم عن مثل النتائج المذكورة اعني ان عدد النجوم المتناقصة الصغيرة اعظم كثيرًا من عدد النجوم النامية الكبيرة . وهنا تأييد آخر لنظريّة لكير بخصوص تطوّر الكواكب حيث صرّح بان تكاثف النجم متى بلغ حدًّا معلوماً — اي عند بلوغه الدرجة العظمى من الحرارة — لا يتواصل الا بغاية البطء . وبعبارة اخرى يؤكد العلّامة الانكليزي ان دور الانحطاط اطول من دور النمو

هذه الاقيسة الآنف ذكرها عرّفتنا على وجه التقريب والتعميم انهُ في كل ثلاثين كوكباً لا يوجد غير واحد في دور النمو وانه في ٢٫٥٠٠ نجم لا يوجد غير واحد بلغ معظم نموّه كنجوم الجوزاء (Orion) . اما الكواكب المنحطّة الآن الى ادنى دركات التناقص القريبة من الانطفاء والزوال فعددها على رأي الفلكي نُزد من يحتمل بلوغهُ ثلاثة ارباع مجموع النجوم . وقد زاد هذا العالم على حدسهِ هذا ان عدد مصابيح السماء الهامدة بالكليّة هو اعظم من السابق كثيرًا وقد ارتأى بعض الجهابذة انه يساوي الف ضعف الكواكب المضيئة . وبناء على ذلك فعالم المجرّة الذي ارضنا بل كل النظام الشمسي نظير ذرّة تائهة في هائل فضائه لا يشمل فقط مليارًا ونصف من الثوابت بل يزيف الف مرّة على ذلك العدد البالغ اي الف وخمسمائة مليار افكما ان عدد الاحياء على وجه الارض كلا شيء نسبةً الى الاموات الراقدين في احشائها هكذا عدد النجوم النيّرة يكاد لا يُعبأ بهِ اذا قوبل بعدد الكواكب الهامدة

ويُرجّح نُزد من امكان احصاء النجوم المنطفئة على وجه اضبط بملاحظة ما تحدثه من التأثير والتغيير في حركات الكواكب النيّرة . هذا على قوله ميدانٌ جديد يدعو فرسان علم الفلك الى شقّ غباره

٤ تطور النجوم وقول الماديين بازلية المادة

لقد طال بنا خوض مسألة حياة النجوم وما انطوت عليه من التطورات القريبة الشبه بادوار عمر الانسان. فليكن مسك الختام اعتباراً فلسفياً عميقاً لا اشك في كونه يحظى برضى القرّاء. لا يندّ عن معرفتهم ان سواد الزنادقة — ان لم يكن كلهم — حيث انكروا وجود الخالق جلّ جلاله ولم يجدوا سبيلاً الى التصريح بدخول الكون في حيّز الوجود دون علّة سابقة له واكمل منه فقد الجأتهم الضرورة الى القول بازليّة المادّة بل قد ضلّ بعضهم وبلغ بهم الجنون الى جعلها الاله الواحد رغماً مما فيها من ملايين الاشياء والاشخاص المتباينة بل رغم الجرائم الفظيعة المشوّهة كلّ يوم لعالمنا الشقي الاثيم. وارلئك الماديّون الكفرة يدّعون بقحة وبهتان عجيبين ان العلم العصري حليفهم والشاهد على صحّة عقيدتهم شهادةً لا يردّها سوى الجهلة الغائصين في دياجي الغباوة. وايم الحق ان العلم العصري لبراء من هؤلاء المدّعين الكذبة وفي مقالتنا السابقة العارضة لبعض احدث نتائج علم الهيئة اجلى برهان على نفاق ارلئك المتطفلين على موائد العلم الصحيح. اليس من الاكيد حاضراً عند ائمة الفلكيين ان الثوابت تتولّد من السحابيّات وتتكاثف وتنمو حرارةً فتبلغ معظم تأججها وضيائها الابيض اليقق ثم تتناقص حرارتها شيئاً فشيئاً مع دوام التكاثف المتباطئ وتتغيّر لونها من البياض الى الصفرة فالحمرة حتى يعتريها الانطفاء التامّ ؟

قل لي الآن يا رعاك الله ان كان عالم النجوم الماديّ ازليّاً كما يدّعي الزنادقة أفما كان عاش حتى اليوم عدداً لا متناهياً من الاجيال ؟ أفما كان ينتج عن ذلك ضرورةً بلوغ كل الكواكب في يومنا الحاضر على الاقلّ الى نهاية تطوّراتها اعني الى الانطفاء الكامل ؟ والحال ان في سماء الجيل العشرين ملايين من النجوم النيّرة. فاتضح اذن جهل الماديين وسخافة عقلهم !

ولا يخفى علينا انهم يميدون الكرة والهجوم على سواد العلماء بل جميع ابناء آدم القائلين بوجود الله الذي خلق هذا الكون الرائع من العدم. وما ادراك ما يتذرّعون به من سلاح البراهين طمعاً بالظفر الباهر ؟ يقولون ان تطوّرات النجوم هي بمثابة دائرة لا ثُلمة فيها فكل كوكب على زعمهم يتولد من السحابيّة فينمو فيبلغ اشدّه

فيتناقص حرارةً وحجماً فينطفئ ألا انه بعد ذلك ينثر ذرّاته في الفضاء فتُساد السحابيّة الاصليّة فيتولد منها ثانيةً ليجوز كل ادوار تطوره السابقة وهلمّ جرًّا بدون ختام

يا لهُ من رأي فاشل بل من جنون فاحش! أجيبوني يا معشر المدّعين التفلسف فضلاً عن العلم ولكنّكم اقوالٌ كالسابقة ياوح فسادها وحمقها للاطفال والاميّين انفسهم! اجيبوني اين رأيتم ولو مرّة واحدة بين ملايين النجوم الظاهرة في مراقبكم نجماً مفرداً عاينتم فيه تجدُّد ما تسمّونهُ «دائرة التطور المغلقة»؟ من منكم يتجاسر ويقول: «اجل اني شاهدت ذلك! بل اين رأيتم ولو مرّة واحدة مصباحاً مُنطفئاً يصبح مُنيرًا من تلقاء نفسه اعني بدون ادنى علّة خارجيّة؟ أوليس ذلك بالحرف الواحد ما تدّعون حدوثه عدداً لا يحصى من المرار في ملايين من الكواكب منذ ازلها الموهوم؟ ألا الزموا الصمت بدلًا من التشدق على مرأى ومسمع من العقلاء والعلماء الحقيقيين بمثل تلك الاكاذيب الملفقة والتفاسف الحمقى والخرافات العجائزية التي لا يرضى بها نفس الاميين بل يخجل من سفاهتها ذات العقل البشري!

حسبكم قحةً إنكاركم وجود الله عز وجل مع ان اسمى شرف الانسان ملك الكون المادّي الاقرارُ بوجوده ووحدانيّته وكمالاته اللامتناهية ثم السجود لعزته والطاعة لاوامره

حسبكم ذلك الانكار الفظيع! فأستحلفكم ليس باسم الدين الذي تبذتموه نبذ النواة بل باسم العلم وقد ادّعيتم رفع رايته ألّا تنكروها الى حضيض أفئادكم واوهامكم بحجّة تبرير إلحادكم السافل. وايم الحق ان علم الجيل العشرين ولاسيّما علم الهيئة بعجيب اكتشافاته الحديثة يقوم في وجهكم بل يُلقمكم الحجر وهو يؤدي اجلى الشهادات على وجود الله وعلى كونهِ خالق هذا العالم الهيولي والمودع في احشائه القوى السرّية القديرة التي نشأت منها على توالي العصور ملايين الكواكب التي كنّا من برهة واقفين بفائق الدهش مع امّة الفلكيين بازاء مشاهد تطوّرها الفتّانة

مثال العفاف في رواية جنفياف

نظمها الاديب ميخائيل افندي عبدالله الراعي

مقدمة

يروي الرُّواة ان جنفياف احدى اميرات الفرنج في القرن الثامن للميلاد كانت ابنة الدوق دي برابان اقترن بها بالزفاف سيغريد(Sieg fried) او سيجفرُوا امير مملكة تراف وما لبث ان دعاهُ الملك شرل مرتل سنة ٧٧١ لمحاربة عرب اسبانية الذين كانوا اغاروا على فرنسة . فلبَّى سيجفروا دعوتهُ وجعل قبل سفرهِ زوجتهُ جنفياف تحت نظارة وكيلهِ المدعو غولو (Golo) . فهذا غلط نعمة سيدهِ وراود الامير عن نفسها فردَّت طلبهُ الاثيم بأنفة .. فاراد غولو ان ينتقم منها . ولمَّا عاد الامير من حربهِ ظافرًا اسرع اليهِ ورماها بالخنى . وكانت الاميرة ولدت ابنًا فصدَّق سيجفروا تهمة غولو وامر بقتلها وقتل ولدها مما الَّا انَّ الذين عُهد اليهم هذا الامر اغتنموا الشفقة عليها وتركوها في القفر فأوت الى مغارة في غابة كثيفة واوضعت ابنها بحليب ظبية لقيتها هناك وافتاتت هي من الاعشاب والثمار سبع سنين . الى ان خرج الامير الى الصيد في تلك الغابة ورأى الظبية فتأثرها فهربت الى المغارة حيث كانت جنفياف . فعرف الامير زوجتهُ واطَّلع على حقيقة امرها واعادها وابنها الى قصرهِ مكرَّمة معزَّزة . وامر بقتل الخائن غولو . لكنَّ الاميرة لما قاستهُ في تلك المدَّة الطويلة توفيت بعد قليل ودُفنت بروتق عظيم . فهذه خلاصة رواية جنفياف التي شاعت في كلّ انحاء اوربَّة . وممَّن اخرجوها على صورة شائقة لطيفة الكاتب النساري كويتوف شيد وقد عُرِّبت هذه الرواية في بلادنا فاحببتُ ان أفرغها في قالب النظم مع اعترافي بقصر الباع ملتمسًا من رؤساء القريض المعذرة عن هفوات اللسان والله الهادي وعليهِ التكلان

٢٠ د

نارُ الكريهة حين شبَّ لظاها ... ظفرت جيوشُ فرنسة بعداها
وبغابر الازمان كم غالت جيو ... ش الغالِ في الهيجاء مَنْ ناواها
حربٌ فروسٌ طالما دارت على ال ... أعراب في غرب البلاد رحاها
ما بين غاليةٍ واندلسٍ لكمْ ... شبَّت قرنٌ بذي الجهات صداها
قد سالت البطحاء من سفك الدما ... والارضُ غصَّت من جرا قتلاها
والنصر كان حليف جيش أوربَّةٍ ... اذ فرَّتَ الاعرابُ من اتحاها

***

سيجفروا الكرَّارُ كان غضنفرًا ... ببسالةٍ نارُ الكفاح يطاها

قاد الجيوش بنخوةٍ وحميّةٍ نحو الكريهةِ باسماً يلقاها
تتخذ الاميرةَ جنفيافَ حليلةً في عام حربٍ طالما أصلاها
حسناء تحكي البدرَ في كبد السما واللطفُ والاحسانُ من مبداها
فعلُ الفضيلة والتقى من دأبها وكذا العفافُ شعارُها ورداها
كانت « كطابيثا » غزالةَ عصرها تكسو المُراةَ وقلَّ مَنْ جاراها(١)

***

« غولو » الخبيث الوغدُ هام بحبها وغدا السليمُ متيماً بهواها
قد رام يَغويها فخاب ولم ينل يا قوم ألا سُخطها وقلاها
فشكتهُ حالاً للامير وخصمُها قتلَ الرسولَ وبعد ذا عاداها
وعلى الاميرة صاحبُ القدر اشتكى للبَعْل ايضاً مُهملاً شكواها
قد قال خانت جينيفيافُ حليلها وتعلقت بسوى عشيرٍ صباها

***

« يسيجفرُوا » الغرورُ قطّب وجههُ حين الرسالةَ فضّها وقراها
ويحبس زوجته الامينة قد قضى فوراً بدون الفحص عن دعواها
حبلى بآخر شهرها في الحبس زُجّ بها وفرط الطلق قد ناجاها
ذكراً كبدر التمّ قد ولدت بضنك العيش والربُّ العظيم وقاها
« دُولُور » سمّتهُ لما من لوعة الـ ألم المبرّح والشقاء عراها
وطعامها في السجن خبزٌ اسودٌ فتبلُّهُ بمدامع عيناها

***

حكم القضاءُ بقتلها في ليلةٍ صرفُ المنيّة فجأةً وافاها
« برتا » اتت سراً لتنذرها بما شرّاً لها قد اضرمت اعداها
كتبت الى البعل الحقود رسالةً من غدر « غولو » كيف كان جزاها
ولقد حَبَت برتا لشدّة حبها عقداً ثميناً شاهداً لولاها
قالت لها : ذا الجيدُ اصبح عرضةً للذبح . والدهر الخؤون جفاها

١) يشير الى طابيثا الصالحة التي احياها القديس بطرس كما ورد في سفر الاعمال. (ف ٩)

واستاقها كالشاة جلّادان نحـــر الغاب وا أسفي لفتك دماها
فتشاورا في ضرب عنق وحيدها وتأججت نار الاسى بحشاها
وقعت على اقدام كلّ منهما تهمي الدموع كوابل عيناها
قالت «اذا في ضرب عنقي قليلا شرّ اولا «ولظى الفراق كواها
كلٌّ عفا عن قتلها رفقاً بها والله من غدر البُغاة حماها

***

ودرى وايقن خصمها «غولو» بأنّ م رسولَهُ كاس الحمام سقاها
وتوغلت تلك الاميرة في القفا ر وظلّ كهفٍ قد غدا مأواها
تقتات من بعض البقول وطالما خارت من الجوع الشديد قواها
تحنو على طفل ضعيفٍ جائعٍ باكٍ فضعّف وجدّها وأساها
بمغارةٍ في الغاب كان مقامها عينُ المهيمن ضمّنها ترعاها
وبقربها روضٌ نضيرٌ فيه سا قيةٌ تروّي في الهجير ظماها
تخذت لها طاساً من القرع الذي قد عاينته نابتاً بجناها
دخلت الى تلك المغارة ظبيةٌ أنِسَتْ بها واستبشرت بلقاها
وطعامها اتخذته من البانها فقهت وكان الجوع قد اضناها
واتى الشتاء ببرده وصقيعه والثلجُ ارضَ الغاب قد غطّاها
امّا غزالة جنفياف بقربها كانت تبيت وحبّذا ملقاها
تقتات من بعض الحشائش عندها اذ قلّ في ارض الفلا مرعاها
ثم انقضى فصل الشتاء براحةٍ نالت بها تلك الفتاة مُناها

***

جاء الربيع ورنّمت اطياره في الروض يشجي المستهامَ غناها
حيث الطبيعة حلّةً خضرا اكتست سبحانَ ربِّ الكون مَن أنشاها
وتوافحُ الازهار طاب عبيرُها وتسربلت اشجارها بردا
وتراقصت اغصانها طرباً على شدو الحمائم في حمى جرعاها
فغدت فتاة الغاب تحمد ربّها الحسنان من طيب الحياة جباها

بَرَزت من الغار الذي زمنَ الشتا قد طال فيه أسرُها وخباها
والله كان نصيرها وملاذَ من القت على الرب الكريم رجاها
واصطاد ذئبٌ نعجةً بجوارها فاستنقذتها بعدما أرداها
واستحضرت صوَّانةً سلخت بها فروًا من البرد الشديد وقاها
واتخذت دولورَ من جلد الظبا ثوباً جميلًا والسرورُ اتاها
كانت تُجتمع في المصيف طعامَها بعضَ الثمار مؤونةً لشتاها
سكنت بذاك الناب سبع سنين اذ نالت بدولورَ الحبيب مناها
واقد نشا وتورَّدت وَجناتهُ ذا طلعةٍ قرَّت بها عيناها
ربَّتهُ بالتقوى فكان مهذَّباً ولداً مطيعاً ليس من يعصاها
كالشبل في الغابات ربَّ بالقِ يحمي بهاتيك الجهات حماها

***

فعدت بذاك العام وهي مريضةٌ والقرُّ في فصل الشتا اضناها
والثلج غطّى الارض ابيضَ والذرى بُسُطُ الطُّلس قد ملأَ الجهات عراها
باتت تئنُّ وارشكت تقضي من السحمّى الشديدة بعد فرط ظماها
« دولورُ » كان يعولها بالماء مع لبن النزالة حيث دام حذاها
قالت من الاوجاع لمَّا استوقدَت نارُ البعاد واضرمت احشاها:
« دولورُ يا ولدي الحبيب ومهجتي دنت المنيَّة جاء يوم لقاها
سأموت من فرط الكآبة والضنى هيهات أنك ان تعودَ تراها
ولئن قضت هذي الحزينة بعدها في الغاب غيرك لا يقيم عزاها.
فاحرص على دفني ولا تحزن فانَّ النفس في دار البقا مثواها
أخبر اباك اذا ظفرتَ بقربهِ كيف الفقيدة في البعاد عراها»
دولور أجهش بالبكاء تأسُّفاً ودعا المهيمنَ كي تنالَ شفاها
نَقهت وقد ولّى الشتاء وبردهُ عنها وزالت برمةً حمَّاها

***

« سيجفروا » بالغرب عاد مظفَّرًا وجيوشهُ انتصرت على اعداها
وبقصر « نفرابورَ » كان دخولهُ في حفلةٍ لله فيها ابهاها

لكنهُ غيظاً تنمَّر صدرهُ لجريمةٍ « غولو » الخبيثُ جناها
ولقد تحقَّق غدرهُ وعتوَّهُ برسالةٍ من جنفياف قراها
والوغدُ حالاً قد اقرَّ بذنبهِ مذ طاوع النفسَ اللجوج هواها
مولاهُ حتماً رام يضرب عنقهُ لمقاصدٍ بغيابهِ اخفاها
لكن وصيَّة جنفياف اطاعها عفواً عن الوغد الذي عاداها
القاه في سجنٍ مخيفٍ مظلمٍ والنفس نالت بالعقاب جزاها
واقام جنَّازاً بهيجاً خافلاً عن نفس من فاقت بفرط تقاها
قد طالما سكب الدموع لفقدها متأسفاً وملازماً ذكراها
ملَّ التعازي في الاسى من بعدها طرَّاً وبالدمع السخين بكاها

***

خرج الامير « سيجفروا » للصيد في ارض تكاثر في الفياض ظباها
قصد التنزُّه في الفلاة مسرَّةً كي تستريح النفس من بلواها
فغدا يطارد ظبيةً دخلت الى غارٍ به قد شاقها مأواها
دخل الامير اليهِ ثم ارتاع من مرأى فتاةٍ كالخيال براها
نادتهُ قِفْ يا ذا الفتى مهلاً ولا تجزعْ فدونك مَن تروم لقاها
فانا خليلتك الامينة جنفيا ف إذاً فخذ من قصَّتي فحواها
فاجابها يا ذا الخيال ألا ابتعد عني فان النفس طال شقاها
أخرجْ وكلمني لأعلم من ارى فخليلتي رحمَ الالهُ ثراها
خرجت اليهِ عاجلاً بتبسُّمٍ ايضاً وقد لمَست يديهِ يداها
فارتدَّ عنها جازعاً متحيِّرا عند اللقاء وهالهُ مرآها
حتى أرتهُ خاتم الاكليل عا د لنفسهِ وبلهفةٍ حيَّاها
وبكى بكاء المستهام باوعةٍ متعجباً من حيث طال بقاها
في غابةٍ مأوى الوحوش تظلُّها طول المدى وتجول في انحاها
قالت لهُ عين العناية طالما جنح الدجى كانت بها ترعاها
« دولور » اقبل ساخطاً لما رأى رجلاً عظيماً في الفلاة جناها
قد صاح يا أمَاه من هذا فقا لت لا تخف وتبسَّمت شفتاها

هذا ابوك «سيجفروا» البطل الذي فاق الاكابر والجبابر جاهـا
والوالد المشتاق ضمّ لصدره ذاك الغلام به وعيجاً ناهـا
أمّا الاميرة بالامير ترحّبت دخلتْ به ايضاً الى مأواهـا
وتحدّثا من بعد ذاك هنيهةً عمّا بذي الآجام كان عراهـا

***

سيجفروا بالبوق نادى صحبهُ في غابةٍ وافوهُ من اقصاهـا
وتألّبوا بالقرب منه دهشةً ممن رأوا واستخبروهُ شفاهـا
فاجابهم : « ذي جنفياف حليلتي والله جودًا قد اطال بقاهـا
وعلى ذراعي النجلُ «دولور» الذي في السجن رب العرش قد اعطاهـا
هيّا اضرموا نارًا وهاتوا كسوةً بعد الطعام لكي تنال غذاها »
واعدّ ذاك « الكنت » مما يقتضى في خيمةٍ لقرينه وكـاهـا
جلستْ على خير الطنافس والنما رق والسرورُ بقربهِ وافاهـا
ولها اعدّوا للترحّل هودجاً والجمعُ سارَ امامها ووراهـا
اهل البلاد الى لقاها بادروا بمسرّةٍ كلٌّ وقد حيّاهـا
حتى اذا دخلوا المدينة وانبرت كل النساء تشوّقاً لتراهـا
والآس قد اهدينها رمزًا الى فعل الفضيلة والتقى بصباهـا
«تلفُ» الامين لقد سعى حالًا الى الـ ـسنا فبشّر انّها وابـاهـا
حضرا الى قصر الامير بلهفةٍ كلٌّ وطار مسرّةً للقاهـا
زارتها اعيانُ البلاد وقد غدت تُهدَى وتُهدي كلَّ من اهداهـا
ثمّت اتاها ناسكان بسرعةٍ كلٌّ بذلٍ يستبيح رضاهـا
رجعا من القدس الشريف الى البلا د ومدة نسكاً به صرفاهـا
كانا كسيـأفين فيما قد مضى إبّان « غولو » رام سفك دماهـا
فترحّبت بهما وقد جازتهما خيرًا كما ربُّ العباد جزاهـا
قد عوفيت وتوردت وجناتها والسعد ايضاً والهنا وافـاهـا
وكذا غزالتها لذاك القصر قد وافت فسرّت كل من يلقاهـا

***

وقضى بذاك السجن غولو بعدما ... ايامهُ بالذل كان قضاها
ومضى الى دار الشقاء معذَّباً ... يا ويح تلك النفس ما اشقاها
أنعِم بقصّةِ جنفيافَ وحسنها ... فهاك نظماً يا اخي فحواها
رحم المهيمن كل ذات فضيلةٍ ... هي مثلها في برّها وتقاها

المذهب الدروييني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

٣ مذهب النشوء والتحول

لمذهب النشوء والتحوّل دَوْران اصليّان تطوَّرَ بهما في انتشاره : الدَّوْر الاوّل هو الذي شاع فيهِ مذهب دروين كما اوضحهُ في كتابهِ المعنون بأصل الانواع وهو اوّل ما صنَّفهُ ثمَّ اردفهُ بكتب اخرى عديدة سعى فيها بتوسيع نطاق مذهبهِ . اما الدور الثاني فهو دور الجوهر الفرد (le Monisme) الذي ذهب اليه الالماني هكل

١ المذهب الدروييني

كان دروين انكليزيّ الاصل مولدهُ سنة ١٨٠٨ ووفاتهُ سنة ١٨٨٢ وكان بروتستانيّ النحلة مؤمناً بالله وبالوحي قائلاً بتكوين الله عز وجلّ للخلائق من العدم في مواليدها الثلثة اي الجماد والنبات والحيوان كما رواهُ موسى في سفر التكوين في غضون كلامهِ عن خلق الله للنبات (تك ١ : ١١) ثمَّ للحيوان الاعجم (١ : ١٣) ثمَّ للانسان (١ : ٢٤) فدروين يسلّم بكل ذلك ضمناً إن لم يصرّح بهِ في كتابهِ اصل الانواع المطبوع سنة ١٨٥٩ بالانكليزية

ولكن كيف خلق الله هذه المواليد ؟ هل ابدع سبحانهُ وتعالى كلّ انواع النبات والحيوان كما هي حاضراً او كما اطّلع عليها علماء طبقات الارض بعد تلاشيها

وقضى بذاك السجن غولو بعدما ... ايامهُ بالذل كان قضاها
ومضى الى دار الشقاء معذَّباً ... يا ويح تلك النفس ما اشقاها
أنعِم بقصّةِ جنفيافَ وحسنها ... فهاك نظماً يا اخي فحواها
رحم المهيمن كل ذات فضيلةٍ ... هي مثلها في برّها وتقاها

المذهب الدروييني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

٣ مذهب النشوء والتحول

لمذهب النشوء والتحوّل دَوْران اصليّان تطوَّرَ بهما في انتشاره : الدَّوْر الاوّل هو الذي شاع فيهِ مذهب دروين كما اوضحهُ في كتابهِ المعنون بأصل الانواع وهو اوّل ما صنَّفهُ ثمَّ اردفهُ بكتب اخرى عديدة سعى فيها بتوسيع نطاق مذهبهِ . اما الدور الثاني فهو دور الجوهر الفرد (le Monisme) الذي ذهب اليه الالماني هكل

١ المذهب الدروييني

كان دروين انكليزيّ الاصل مولدهُ سنة ١٨٠٨ ووفاتهُ سنة ١٨٨٢ وكان بروتستانيّ النحلة مؤمناً بالله وبالوحي قائلاً بتكوين الله عز وجلّ للخلائق من العدم في مواليدها الثلثة اي الجماد والنبات والحيوان كما رواهُ موسى في سفر التكوين في غضون كلامهِ عن خلق الله للنبات (تك ١ : ١١) ثمَّ للحيوان الاعجم (١ : ١٣) ثمَّ للانسان (١ : ٢٤) فدروين يسلّم بكل ذلك ضمناً إن لم يصرّح بهِ في كتابهِ اصل الانواع المطبوع سنة ١٨٥٩ بالانكليزية

ولكن كيف خلق الله هذه المواليد ؟ هل ابدع سبحانهُ وتعالى كلّ انواع النبات والحيوان كما هي حاضراً او كما اطّلع عليها علماء طبقات الارض بعد تلاشيها

في كرور الاجيال . او بالحري هل برأ الخالق في اوّل الخليقة بعض الانواع التي جعلها كأمثلة رُتَب تفرّعت منها بفعل الطبيعة بتمادي الاجيال الاجناسُ والانواع التي نعرفها في زماننا ؟

فيجيب دروين على هذا السؤال غير مرتاب في حكمه انّ هذه الاجناس والانواع الحاضرة او المكتشفة في اعماق الارض لم يخلقها الله رأساً وانّما تعدّدت فيها الاجناس والانواع بمرّ الدهور وبقوّة الطبيعة وحدها وهي ترتقي اصلاً الى بعض الاجناس الاوليّة من النبات والحيوان التي خلقها الله في بدء العالم

واعلم انّ دروين في كلامه عن اصل الكائنات وتفرّعاتها لا يقسمها كلها بفعل الطبيعة الى رُتَب واجناس وانواع وانّما يذكر فقط امثلةً اصليّة (او قل ان شئت مثالاً فرداً) كوّنها الله في بدء الخليقة كانت تتكيّف بكيفيّات مختلفة وتتحوّل الى صور شتّى بفعل عوامل طبيعيّة حتّى بلغت الى خواصّ جديدة وبالانتخاب الطبيعي اصبحت ثابتةً تتوارثها مواليدها وتلك هي الانواع التي نعرفها

فالمبدأ الدروييني يعود اذن الى قوله انّ الانواع تحوّلت بواسطة الانتخاب الطبيعي . ذاك هو ناموسهُ الذي أدار على محوره كلّ مذهبه . يزعم انّ انواع النبات والحيوان قابلة التحوّل من صورة الى صورة ومن جنس الى آخر وانّ هذا التحوّل قد جرى جرياً بطيئاً جدًّا وبطريقة غير محسوسة وبزمان لا يُقاس طولهُ . وذلك ما يجعل الانواع المستحدثة مختلفة كل الاختلاف عن الامثلة الاصليّة المشتقّة منها . وفي هذا التحوّل الدائم يبقى من تلك التطوّرات نخبة من الافراد التي تحفظ الصفات الجديدة التي اكتسبتها ثم تورثها مواليدها بينما تتلف بقيّة الافراد التي دونها بنيّةً وقوّة . وهذا ما يدعوهُ بالانتخاب الطبيعيّ على مثال الانتخاب الصناعيّ الذي يعتمدهُ الناس في عهدنا لايجاد بعض الصنوف العرضيّة في النوع الواحد من الحيوان والنبات

فانّ الذين يربّون في الوقت الحاضر بعض الحيوانات ويريدون ان ينالوا منها صنفاً جديداً يعمدون الى فحولٍ يجدون فيها شيئاً من الخواصّ التي يطلبونها في الصنف الجديد فاذا ولد صغارُها اختاروا منها ما يرونهُ متّصفاً بتلك الخواصّ وينفون البقيّة وهكذا ينالون بعد زمن جنساً من الحيوان المطلوب تثبت فيها تلك الصفات بالوراثة . فينسب الناس الى المربّين المذكورين ذلك الصنف الجديد الذي هو نتيجة

الانتخاب الصناعي الحاصل بذكاء عقل اولئك المربين الحاذقين

وما يصنعهُ مربّي الحيوانات ينالهُ الزرّاع في النباتات والبقول والبستاني في الزهور فانهما يبلغان الى توليد تلك الاصناف الجديدة تارةً بان يجمعا بين صنفين مختلفَيْن من المواليد وتارة بطرائق اخرى لاسيَّما في النبات وكلاهما بعد التوليد ينفي ما يراهُ مخالفاً للصفات المرغوبة

فالانتخاب الصناعيّ الذي يصير بواسطة الانسان وحذاقة عقله يقوم خاصَّة بالغائهِ للمواليد الضعيفة . فمثل هذا الالغاء يُدخلهُ دروين في مذهبهِ لكنهُ يتمُّ على رأيهِ بقوَّة الطبيعة وحدها في انحاء العمور ويتمادي الزمان في النبات والحيوان . يزعم ان افراد الصنف الواحد يثبت منها فقط الاقوياء واما الضعفاء فتتلاشى . فيجري بين هؤلاء الافراد ضرب من النزاع للبقاء فلا يعيش منها الّا الغالب اعني الممتاز بينها بالقوَّة والرشاقة او غير ذلك من الصفات الطبيعيَّة . والعامل في هذا النزاع هو ايضاً على قول دروين الانتخاب الطبيعي

ومن ثمَّ اذ لم يزل هذا الاختيار الطبيعيّ والغاء الافراد الضئيلة جاريين على وتيرة واحدة مدَّة عدَّة اجيال فتنتج عنهما اختلافات زهيدة توارثتها المواليد تباعاً حتى اولدت سلالات جديدة او انواعاً جديدة كما يقول دروين . مثال ذلك انَّ الله خلق في البدء صنفاً من الفرس او حيواناً آخر سبق الفرس ومنهُ تفرَّع في توالي الزمان الحصان والحمار وحمار الوحش والبغل الخ . وذلك بظهور بعض الخواصّ الجديدة التي اكتسبها صدفةً الفرس الاصلي بهذا الانتخاب الطبيعي مع الغاء الافراد الضعيفة ثم اورثها لمواليدهِ من بعدهِ

ومثلهُ الكلب الاصلي المخلوق في البدء تحوَّل الى انواع اخرى فجاء بعد كرور الاجيال على صور شتَّى وراثيَّة يدخل في حيزها الذئب والثعلب وابن آوى والكلب الحاضر وما اشبه ذاك الكلب الاوَّل . وهذه الانواع تولَّدت على رأي دروين في بعض تطوُّرات الجنس الاصلي حيث بلغ احد افرادها الى خاصَّة لم يرثها من مواليد سابقة واورثها هو لمن خلفهُ فثبتت تلك الخاصَّة فيهم واصبحوا هكذا نوعاً مستقلًّا

ودونك مثلاً آخر يُطلعنا على عامل جديد من ذاك الانتخاب الطبيعيّ . يقول دروين انَّ الايل والغزال واصنافهما المتعدّدة رأت قوائمها الامامية تطول شيئاً فشيئاً

في نسلها الى ان ثبتت هذه الخاصة في احد مواليدها فصارت نوعاً جديدة تتوارثهُ وما ذاك الّا الزرافة الطويلة القوائم . وان اعترضتَ على دروين قائلًا : وهب انَّ الزرافة اكتسبت طول قوائمها من نسل النزالة فما قولك بطول عُنقها من اين ورثتهُ؟ فلا يتردّد دروين في جوابهِ وهنا يدخل عاملًا جديداً في انتخابهِ الطبيعي يريد بهِ الاحتياج . ولذلك وضع ايضاً هذا المبدأ «ان الحاجة توجد الآلة» فلمّا طالت قوائم الزرافة بحيث لم تستطع ان ترعى النبات او تشرب ماء السواقي اقتضى الامر ان تُطيل عنقها فاولدت فيها الحاجة امتدادَ العنق وذلك بالتدريج البطيء وفي مدَّة اجيال طويلة ومواليد متعدّدة على حسب ازدياد قوائمها طولًا

وان قلت لدروين : ومن اين للزرافة ذَنَبها الطويل على خلاف الايل والنزال؟ اسمع وتمالك عن الضحك فان دروين سبق بنفسهِ وردَّ على هذا الاعتراض في كتابهِ عن اصل الانواع : « قال كانت الحيوانات الاصليّة من ذوات الثدي خاليةً من الذنب وانّما احتاجت اليهِ بعد ذلك لتقي نفسها من الذباب والهوامّ . فهي الحاجة التي انتجت تلك الذنَبة الزرافة كما للخيل والبقر الخ» . وسوف نعود الى ذكر هذا الذَنَب

وعلى هذا النمط يبني دروين مذهبهُ في كل عضو يجدهُ في انواع الحيوانات الراقية التي في اطوار حاجاتها احتاجت الى تلك الاعضاء فحصلت عليها شيئاً فشيئاً بالانتخاب الطبيعيّ . وما عيونها وآذانها وحواسُّها وقوائمها ومخالبها سوى نتيجة تلك التطوُّرات والانتخاب الطبيعيّ والحاجة . وما يقولهُ دون ادنى برهان عن الحواسّ والاعضاء الظاهرة يقرّرهُ ايضاً للاجهزة الباطنة كدورة الدم والاعمال الحيويَّة . ولو تتبَّع الانسان سلسلة الكائنات بلغ في سلَّم الاجيال متصاعداً الى زمن حيث كانت تلك الحيوانات خالية من تلك الحواسّ وتلك الاجهزة الظاهرة والباطنة . وكل ما يوجد من هذه المخلوقات حيًّا او متحجّرًا في قلب الارض وهو مزدان بهذه الحواسّ هو حديث العهد فلا بُدَّ من الترقّي الى ملايين من السنين قبلها اذ كان خاليةً منها

اسمع الآن ما كتبهُ هكسل من اشهر تلامذة دروين في تكوين حاسَّة البصر قال : « لو تتبَّعنا بالتدريج نشوء هذه الشاعرة صاعدين في مراقي الدهور ومعتبرين توالي

والد الحيوان الى اصله الاول وجدنا انَّ حاسَّة العين تحسَّنت فيه شيئاً فشيئاً بفشو انواع جديدة »

وكلّ هذه التحوّلات تحدث كما سبق القول من تلقاء ذاتها وإنْ هي الّا نتيجة قوّات عمياء. ومفعول الصدفة مدّة قرون عديدة . فهذه العين التي هي احدى عجائب الكون بتركيب كلّ اجزائها التي أُعطيت للحيوان لغايات معلومة قد اوجدتها قوّات الطبيعة دون فعل عقل سام عُني بتكوينها . وكلّ ذلك مبنيّ على هذا المبدأ انَّ الحاجة اوجدت الآلة . وعلى مثال ذلك يقولون في حاسّة الذوق والقوّة المحرّكة . فالذوق نالهُ الحيوان لحاجته الى طعام مريّ وغذاء صالح بينما كانت حاجة الحيوان الى الاكل تجهّز لهُ معدةً لهضم تلك المآكل . ولحاجته الى طلب غذائه قريباً او بعيداً عنهُ احتاج الى اعضاء تنقلهُ بالحركة اليه وهكذا تولّدت القوائم للحيوان من اصغر الديدان الى اكبر الدوابّ وكذلك وُجدت في الاسماك الزعانف وفي الطيور الاجنحة ما لم يفضّل احد تعليل وجود الاجنحة بقوله مع احد كتبة القرن الثامن عشر المتهد الطريق للدرويينيين : انَّ اسماكاً مجنّحة وثبت على قوائمها فخرجت الى الشاطئ حيث نشفت زعانفها واضحت اجنحةً فطارت بها الى الجرّ . فهذه الفكاهة التي عرضها ذاك الكاتب كامر وضعيّ كان يسلّم بأنَّهُ لا هو ولا غيرهُ قد عاينا شيئاً من ذلك وعلى قوله انَّ هذا قد حصل في جهات القطب او في بعض الامكنة المقفرة التي لم تطأها قدمُ البشر . فكم يسمّينا الدرويينيُّون مثل هذه الخرافات التي لا وجود لها الّا في مخيّلتهم ويُضحكون بها الثكلى

ومما يزعمهُ ايضاً الدرويينيُّون لتأييد مذهبهم انَّ الانتخاب الطبيعيّ والفاء المواليد المستضعفة جزيا ويجريان حالًا على ناموس آخر اعني به التنازع على البقاء بين طوائف الكائنات . وهذا مثال عن زعمهم ننقلهُ عن احد علماء العصر الماضي المسيو دي كاترفاج موضحاً بهِ قول دروين قال : معلومٌ انَّ النبات كثيراً ما تأبرهُ الهوامّ عند ما تجني الزهور اطعامها فتنقل من زهرة الى اخرى بمادّة اللقاح المنتشر على قوائمها . ثم من الزهور ما لا يحطّ عليه الّا بعض اصناف الهوامّ . قال دروين : لا يزور نبات البرسم وزهر الثالوث الّا الزنبور . فاذا كثرت الزنابير تا ايضاً البرسم والزهر المذكور بالتلقيح . لكنَّ للزنابير في الجرذان اعداء الدّاء تُغير على اوكارهم . ومن اعداء الجرذان الهرة .

فاذا افترست الهرّ جرذوناً نجا بذلك عشٌ من الزنابير فيعيش نسلهم وينشأ ثم اذا كبر صغار الزنابير يلتهمون البرسم وزهور الثالوث فيزكوان. فترى انّ بين الهررة والجرذان والزنابير حرباً عواناً منهُ ينتج توفّر البرسم » (كتاب دروين في اصل الانواع فصل ٣)

وعلى هذا المثال يقول دروين انّ في العالم اجمع تنازعاً متواصلًا للبقاء تارةً بين الطوائف وتارةً بين الافراد . وفي هذا النزاع يتلف الضعفاء من بعض الوجوه امّا الفائزون فهم الذين يقوون على خصومهم سواء كان بقوّتهم او بخاصّة اخرى . وثمرة هذا النزاع على زعم دروين الانتخاب الطبيعيّ

ويضيف دروين الى التنازع للبقاء عاملًا آخر وهو تأثير الوسط او التناسب والملاءمة . أجل لا يشكّ احد في انّ الظروف المختلفة كالغذاء والسكن ومناطق البلاد وغير ذلك لمّما يؤثر تأثيراً معاوماً في كثير من الحيوان والنبات . فاذا زرعتَ مثلًا النبات متقارباً رأيت بعضها تميل الى حيث تجد هواء ونوراً . بعض الحيوانات قليلة الوبر في البلاد الحارّة فاذا نُقلت الى بلاد شديدة البرد توفّر وطال صوفها . وربّما تغيّر لون وبرها باختلاف مسكنها او طعامها . فان الخنزير البرّي اذا دُجّن وخالف اكلهُ السابق يستأنس فلا يعود الى صيده ليلًا بل يصيب جسمهُ بعض التغيير في بنيته . ولعلّ الخروف في عهده الاوّل كان اشرس خلقاً واكثر نفوراً فلمّا دجن صار ألوفاً دمثاً بتأثير الوسط في خلقه

وما يدلّ على فعل الوسط دلالةً واضحة انّ دواجن الحيوان اذا خرجت من القة الانسان تعود الى طبعها الاصلي فتتوحش . دع مثلًا الفرس او البقر او الكلب في خاوة من البشر فلا تلبث ان تعود الى وحشتها . لكنّ في ذلك دليلًا باهرًا ايضاً على انّ الحيوان الداجن لم يتنوّع كما يريد دروين بل اختلفت فقط بعض اخلاقه عرضيًّا بفعل الوسط وذلك على مدّة تأثير تلك العوامل فيه فاذا كفّت العوامل رجع الى غريزته

ومن العوامل التي التجأ اليها دروين ليثبت زعمهُ في تنوّع الكائنات استعمال الافراد لبعض الاجهزة والاعضاء او عدم استعمالها ومن المعلوم انّ الاعضاء تقوى وتشتدّ بالعمل وبالعكس تضعف وتشلّ باهمالها . فاستخرج دروين مبدأ من هذا الملحوظ تأييدًا لزاعمه فيقول مثلًا ان النّعامة وبعض الطيور المجنّحة تعجز اليوم عن

الطيران لقلة استخدامها لأجنحتها . وكذلك بعض الحيوانات القارضة كالخلد القاصرة البصر او العمياء يزعم دروين انها فقدت حاسة النظر تدريجاً لقلة استعمالها في قلب الارض مع اضافة ذلك الى الانتخاب الطبيعي . وعلى هذا المثال يدّعي دروين انّ كثيراً من الطيور كانت مخالبها تتركب من خمسة اصابع فلعدم حاجتها اليها اهملت استعمالها فشلّ بعضها ثم فُقد

وآخر ما تشبّث به دروين للدفاع عن تنوّع الافراد الانتخابُ النسلي فاذا تزاوج الحيوان ربّما خلّف في نسله صفات جديدة تصير مع الزمان وراثيّة ومن ثمّ اصاب ذكورُ ذوات الثدي اجساماً ذات تركيب اشدّ واقوى وخُصُّوا باسلحة للدفاع عن كيانهم في وجه اعدائهم كالقرون في الابقار والكباش وكالانياب في كواسر الحيوان . وكذلك مُنحت ذكور الطيور محاسن جديدة كالاجنحة الملوّنة الزهيّة وكالتغريد المُطرب وهلمّ جرًّا

على انّ دروين في كتابه عن اصل الانسان اذ يستقري انواع الحيوان ليتحقّق فيها صحّة قوله عن الانتخاب النسلي يلقى في طريقه كثيراً من الشاكل التي تُبطل مزاعمهُ الّا انّ قريحتهُ تجد لكلّ مشكل حلًّا ما شاء ام ابى كما ستري

وهاك مثلًا يوقفك على ما ينويه دروين . انّ رتبة ذوات الثدي البرّيّة تنقسم الى اجناس وانواع غاية في الاختلاف . البعض منها عظيمُ الهيكل كبير الجسم كالفيل الخلي وخصوصاً القيلة التي عاشت في الاجيال الغابرة البالغ كبرها نحو خمسة امتار . وغيرها اصغر جسماً كالجمل وفرس البحر والبقر الخ . ومنها ذوات ثُجث متوسطة كالاسد والدبّ وابن آوى والشاة . ومنها اخيراً انعم وادقّ جسماً كالقرقدون والخلد والجردون والفارة الخ . فبين كلّ هذه الحيوانات المختلفة نوعاً وحجماً وصورةً يوجد على ما يدّعي دروين وحدة مثالية لانّ هياكلها جميعاً مركّبة على رسم واحد اذ لها اربع قوائم متّصلة بجسمها واظلاف في اقدامها ولها رأس بفكّين وانياب وفي ظهرها سلسلة طويلة من الفقرات تنتهي بذنب الخ . وكذلك يوجد تشابهٌ في اجهزتها الخارجة في العينين والاذنين واليدين والثديين المُفرزين للحليب كما في اجهزتها الباطنة ايضاً كالجهاز التنفسي والهضمي وفي اتساق كل هذه الاجهزة وتنظيمها

فيضرب دروين صفحاً عن الاختلافات الجوهريّة بين كلّ هذه الانواع ويزعم انّها كلّها عائدة الى مثال واحد تجنّس وتنوّع حتّى افضى الى كلّ الاجناس والانواع الثابتة التي نشاهدها اليوم وكفى لذلك وجود العوامل التي عدّدها ونسبها الى الانتخاب الطبيعيّ اعني تنازع البقاء وتأثير الوسط والانتخاب الزوجي واستعمال الاجهزة او إهمالها. فهذه وحدها انتجت في تلك الحيوانات الاختلافات التي نحن ندعوها اجناساً وانواعاً وما هي في الحقيقة الّا مواليد مثال اصلي واحد

وما يقرّرهُ دروين عن الحيوانات ذوات الثدى يُثبتهُ ايضاً عن بقيّة الرُتب الحيوانيّة ذوات الفقرات كالطيور والزحافات والاسماك ومثلها رُتب الحشرات العليا كالغشائيّة الاجنحة والغشائيّة الاجنحة والغمديّة الاجنحة. ويضاف الى الحيوان رُتب المواليد النباتيّة الراقية ايضاً الى مثال أصلي وحيد فهذه خلاصة المذهب الدرويني: وحدةُ المثال الاصلي ووجود ذاك المثال في ظروف مختلفة. قال دروين:

« والمفهوم من وحدة المثال الاتّفاق الاصلي الموجود في كائنات القسم الواحد في تركيبها مع استقلالها في العادات وضروب المعيشة. وعلى رأيي وحدة المثال لازمة لوحدة التسلسل. اما احوال الوجود المختلفة فداخلة في الانتخاب الطبيعيّ الذي يستخير حالاً الاجزاء المختلفة التي في كلّ فرد فيطبّقها باحوال حياتهِ او يكون استخارها منذ الاجيال الغابرة فطبّقها بها. وهذه التطبيقات ربّما وقعت بزيادة استعمال الاجزاء او بزيادة اهمالها او تكون حدثت بفعل الاوساط توًّا وهي على كل حال خاضعة لسُنن الشوّ والتحوّل المختلفة. ومن ثمّ يجب القول انّ سُنّة احوال الوجود هي الناموس الاسمى لأنها تشمل بواسطة الوراثة تحوُّلات وتطبيقات سابقة وهي وحدة المثال »

هذا ما كان دروين اقترحهُ في كتابهِ اصل الانواع اعني وضعهُ للانتخاب الطبيعيّ وعواملهِ المختلفة في توليد الانواع. وليس هناك ما يُشعر بنكرانهِ الفعل الخالق او لنسبتهِ الانسان الى البهيمة العجماء وغاية ما يمكن تقريعهُ بهِ انهُ يجعل مقدّمات يُستنتج منها اصل الانسان من الحيوان. وسوف نبدي رأينا في نظريّة دروين هذه عند درسنا للحوادث الحاضرة ولما يُستنتج من العلوم الطبيعيّة كالنبات وطبقات الارض ونبيّن ايضاً كيف اتّسع دروين في مذهبهِ واوضحهُ في تآليفهِ التابعة بعد ان نشرها تلاميذهُ وصارت لها سمعةٌ واسعة فعاد اليها خصوصاً في كتابهِ المعنون اصل الانسان المطبوع سنة ١٨٧١

٢ الجوهر الفرد

هذا الطور الثاني الذي تطوَّر اليه مذهب تحوُّل الانواع وهو يُنسب لهِكل . وهِكل هذا الماني الوطن مولود سنة ١٨٣٤ وهو لم يجترئ بنشر المذهب الدروزي وآراء النشوئيين بل بلغ الى اقصى نتائج المذهب المذكور فنكر وجود الخالق وابتدع طريقة جديدة لتعليل وجود العالم وما فيه من الكائنات سندها الى اوهامه واضغاث احلامه

يزعم هكل ومثلهُ الماديون انَّ المادَّة ازليَّة كانت في الاصل مجموعاً بلا صورة ولا حركة ولا تكاثف ولا حياة . وان سألتهُ كيف نُظمت الافلاك ؟ ومن اين اتت لها نواميس التجاذب العمومي ؟ وكيف تكوَّنت في جملتها ارضنا هذه الصغيرة ؟ يجيبك انَّ كلَّ ذلك حدث بحركة ذرَّةٍ واحدة في الاصل انتقلت منها الى بقيَّة دقائق الكون فحصل بذلك بينها تجاذب وباجتماعها حدثت كلّ التركيبات الكيموية وتكوَّنت المعادن . وجملة القول انَّ الافلاك بأجمعها نشأت من تلقاء ذاتها مع ما يصحبها من النواميس الطبيعيَّة . وقد دُعي هذا المذهب بالجوهر الفرد لتفرُّع كلّ الكائنات تدريجاً من الذرَّة الاولى المتحرِّكة

وليس هذا النشوء والتحوُّل محصوراً بالمادَّة بل ثبت على كماله حتَّى كيَّف المادَّة بصورها المعدنيَّة ثم ترقَّى الى النبات والحيوان فانشأ لها صورهما وكلّ ذلك بقوَّة الطبيعة اذ ينكر هِكل وذروهُ وجود الله ووجود نَفس روحيَّة مجرَّدة عن المادَّة . فالمادَّة وحدها لا تزال تنشأ وتتحوَّل بمقتضى نواميس طبيعيَّة ابديَّة . هذا مذهب الماديين

ولكن اسأل هِكل عن اصل الحياة النباتيَّة والحيوانيَّة أنَّى اتتهما هذه الحياة ؟ يجيبك هِكل انَّ الحياة ظهرت اوَّلاً من تلقاء ذاتها في بعض ذرَّات المادَّة كما تظهر في الآليات عند فسادها . ومن ثمَّ يقول هِكل بالتولُّد الذاتي . يزعم انَّ الحياة تولَّدت اوَّلاً في بعض ذرَّات المادَّة الزلاليَّة التي ترى في اعماق البحر فأضحت اصل الآليات الحيويَّة وبنشوئها بدَّة عدد عديد من الاجيال تمكَّنت من توليد النبات ثمَّ تحوَّل ذاك النبات بعد ردحة من الدهور الى الحيوان وما الانسان الَّا احدى حلقات تلك السلسلة الحيوانيَّة

على انَّ الانسان كما زعم هِكِل لم يبلغ بعد الى كماله وانما هو لا يزال في ترقٍّ متواصل بقوَّته الطبيعيَّة . وكما انَّ جسمهُ هو نتيجة ترقّي جسم الحيوان كذلك نفسهُ ليست هي الَّا ترقّي الحياة الحسّيَّة التي في البهائم فبلغت النطق والادراك بعد الاجيال المديدة . بل يزعم انها كلَّ يوم تزيد ترقّياً

فخلاصة تعليم هِكِل انَّ اصل الانسان نفساً وجسداً من القرد . واذ لا يستطيع ان يعيّن قرداً من اجناس القرود الموجودة حاضراً لما يوجد بينها وبين الانسان من التباين في التركيب الطبيعي زعم دروين انَّ للانسان والقرود الحاليَّة اجداداً اقدم منهما عهداً انقرضت من العالم ولم يبقَ في طبقات الارض اثرٌ منها الَّا انَّهُ لا يشكّ في وجودها (كذا)

وقد ظنَّ بعض علماء العاديَّات انَّهُ وجد هيكلاً لبعض الحيوانات زعم انَّهُ السلسلة المفقودة والوسط بين الانسان والبهيمة فزمَّر الداروينيون وطبَّلوا لهذا الاكتشاف لكنَّهم بعد زمن قليل تبيَّنوا انَّ لا اصل لتلك الاشاعة حتَّى انَّ هِكِل ذاتهُ اقرَّ بذلك فكتب : « اننا حتَّى الان لم نجد اثراً لذاك الانسان المظنون الذي تفرَّع في طور الجيولوجيَّة الثالث من القرود اجداده . لكنَّ الشبه الموجود بين صنف البشر ذوي الشعر الصوفي وبين القرود الشبيهة بالبشر لمَّا يوقف المخيلة بسهولة على مثال متوسّط بينهما يُرجح لنا وجود الانسان القرد » زه ! زه

ومع اقرار هِكِل بعدم وجود تلك الحلقة الموصلة بين بني البشر والقرود تراهُ يتفلسف فيها كأنها قد وُجدت حقيقةً وقد اثبت كيانها فيقول : « كان الانسان غير ناطق وهو اصل كلّ صنوف البشر المتوالية بواسطة الانتخاب الذاتي فاولد اوَّلاً انواعاً بشريَّة فُقد اصلها وانقرضت مع الزمان لكنَّها قريبة الشبه بالانسان القرد وبقي من تلك الانواع جيلان وهما جيل البشر ذوي الشعر الصوفي والبشر ذوي الشعر الصقيل ومن هذين الجيلين تفرَّعت بقية صنوف البشر الحاليين البالغ على زعمهِ اثني عشر صنفاً

فكل هذه الحدسيَّات يعتبرها هِكِل كحقائق راهنة فيزعم انَّ نشوَ المادَّة والتولُّد الذاتي ونشوَ الكائنات الحيَّة وتسلسل الانسان من القرد كأنها لواحق لازمة للمذهب الدروينى ولمبادئ النشوئيين . فالى هذا الحدّ افضى تعليم دروين بواسطة تلامذتهِ اعني الى المادَّة المحضة !

وهل يا تُرى رَضي دروين في آخر حياته بهذه النتائج حتى نكران الخالق عزّ وجلّ ؟ انّ دروين في كتابه عن اصل الانسان المطبوع سنة ١٨٧١ صرّح باعتقاده عن تنوّع الانسان وتفرُّعه من القرد لكنّهُ في هذا الكتاب عينه يقرّر صريحاً ايمانهُ بوجود الخالق ومجازاة النفس كما سترى

امّا هكل فيدّعي انّ دروين صدّق على كلّ آرائه حتّى نفيه وجود الخالق وهو يستشهد برسالة وجّهها اليه وحقّق كلّ اقواله . والله يعلم ان كانت الرسالة المذكورة صحيحة او مزوّرة وقد ثبت تزوير هكل لما هو اعظم شأناً من ذلك اذ بلغت به قحتهُ لإثبات مدّعاهُ عن تسلسل الانسان من القرد الى ان صوّر نُطَف اجنّة قرود وادّعى انّ بعضها لبني البشر فكذّبهُ العلماء واضطرُّوهُ الى ان يقرّ بتلاعبه في تلك الصور في مجلّة برلين (Berlin Volks-Zeitung, 29 Nov. 1908) . وكذلك كان زوّر عدّة اجنّة ادّعى انّها طبيعيّة دسّ فيها اقساماً بشريّة مع اقسام من هياكل القرود . وقد بيّنت وقتئذٍ مجلّة المشرق خبث هكل ومكرهُ ردّاً على مجلّة المقتطف المشايعة لذلك الملحد الكذّاب (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٢٣٨ ; ٣١٨ ; ٧١٩) . فان قلنا بعد هذا انّ هكل زوّر كتاباً لدروين لا نرانا مُبخسين لهُ حقّاً

ومهما كان من امر دروين واصحابه فان مذهب الجوهر الفرد هو اختراع هكل الالمانيّ . وقد تردّد صداهُ في بعض انحاء العمور لاسيّما بين الذين يعتبرون الحياة كوطن اللذّات واتباع الشهوات ليطلقوا لها العنان دون ان يحاسبهم عنها الالهُ الديّان اذ انّ كلّ شيء وفقاً لهذا المذهب ينتهي بالموت . وكان اكبر رواج مدّعيات هكل بين مواطنيه الالمان الذين يقرلون بترقّي الطبيعة البشريّة غير المتناهي الى ما هو فوق الانسان (Sur-homme) ويجارون لدولتهم الباوغ الى هذا المقام الراقي فيصرخون : «المانية فوق الكل» (Deutschland über alles) فلها التفوّق على كلّ العناصر والدول التي هي دونها . وقد ألفتت الجرائد والمجلّات الفرنسويّة انظار قرّائها الى نفوذ مبادئ هكل في دماغ مواطنيه الالمان الذين جروا في معاملاتهم مع بقية الدول بمقتضى تلك التعاليم على موجب سنّة الانتخاب الطبيعيّ وتنازع البقاء والقاء العناصر الضعيفة لتصير المانية الكلّ في الكلّ . قال احدهم دي مُنسن (de Munsen) : «انّ غاية التاريخ هي التمدُّن والتمدُّن يقتضي سَحْق طبقات البشر غير القابلة للترقّي

بواسطة امم ارقى منها » . وقال لمپرخت (Lamprecht) مثل هذا القول الغريب الوحشي : « انَّ الشعوب الصغيرة كالنبات المتطفل الذي يجب السعي بالقائه » . وقال ادولف لُسون (A. Lusson) : « اننا نحن الالمان من عُنصر سامٍ ولذوي هذا العنصر السيطرة والسلطان فيجب على العناصر التي هي دونهم ان يخدموهم » . وقال تريتسك (Trietscke) مهذّب المانية الكبير : « انَّ المانية هي الدولة الشريفة بالذات ومن مهمّاتها ان تعدّ للانسانيَّة عهداً جديداً فعليها ان تسير في طريقها دون ان يثبطها عائق يعترضها »

فترى من ثمَّ كيف طبَّق الالمان تعاليم درون وهكل على دولتهم بواسطة الانتخاب الطبيعي وتضحية القوى للضعيف . وفي عدد قادم نبحث ان شاء الله عن صحَّة كلّ هذه الدَّعيات الباطلة فنزيفها بالبراهين العلميَّة (الهُ صلة)

الدَّعوات في مزامير داود

للاب فرديناند توتل اليسوعي

يحثّ السيّد المسيح على تلاميذه في انجيله الشريف « ان يحبُّوا اعداءهم ويحسنوا الى مبغضيهم ويُصلّوا لاجل من يُؤذيهم ويضطهدهم » واوصى بولس الرسول اهل رومية (١٢ : ١٤) قائلاً : « باركوا الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا » ومن ثمَّ لم تزل الكنيسة تحذّر ابناءها عن اللعنات والشتائم وقد جعلت تحذيرها المذكور في جملة وصاياهُ تعالى مع الوصيَّة الثامنة التي تأمرنا بالامتناع عن شهادة الزور وعن كل ما يسيء القريب من الشتائم

على انك اذا تصفَّحت بعض اسفار الكتاب المقدس ولاسيما كتاب المزامير اخذك العجب مما يعرض لك في عدة فصول وآيات من الفاظ الشتم وروح الانتقام كأنها نفثة مصدور قد نكَّل به النبيّ عدوّهُ وابتلاهُ باشد النكبات وهو مثابرٌ على امره يشفي غليله بقذف اللعنات والشتائم على من ظلمه ويستطر ناراً من

بواسطة امم ارقى منها » . وقال لمپرخت (Lamprecht) مثل هذا القول الغريب الوحشي : « انَّ الشعوب الصغيرة كالنبات المتطفل الذي يجب السعي بالقائه » . وقال ادولف لُسون (A. Lusson) : « اننا نحن الالمان من عُنصر سامٍ ولذوي هذا العنصر السيطرة والسلطان فيجب على العناصر التي هي دونهم ان يخدموهم » . وقال تريتسك (Trietscke) مهذّب المانية الكبير : « انَّ المانية هي الدولة الشريفة بالذات ومن مهمّاتها ان تعدّ للانسانيَّة عهداً جديداً فعليها ان تسير في طريقها دون ان يثبطها عائق يعترضها »

فترى من ثمَّ كيف طبَّق الالمان تعاليم درون وهكل على دولتهم بواسطة الانتخاب الطبيعي وتضحية القوى للضعيف . وفي عدد قادم نبحث ان شاء الله عن صحَّة كلّ هذه الدَّعيات الباطلة فنزيفها بالبراهين العلميَّة (الهُ صلة)

الدَّعوات في مزامير داود

للاب فرديناند توتل اليسوعي

يحثّ السيّد المسيح على تلاميذه في انجيله الشريف « ان يحبُّوا اعداءهم ويحسنوا الى مبغضيهم ويُصلّوا لاجل من يُؤذيهم ويضطهدهم » واوصى بولس الرسول اهل رومية (١٢ : ١٤) قائلاً : « باركوا الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا » ومن ثمَّ لم تزل الكنيسة تحذّر ابناءها عن اللعنات والشتائم وقد جعلت تحذيرها المذكور في جملة وصاياهُ تعالى مع الوصيَّة الثامنة التي تأمرنا بالامتناع عن شهادة الزور وعن كل ما يسيء القريب من الشتائم

على انك اذا تصفَّحت بعض اسفار الكتاب المقدس ولاسيما كتاب المزامير اخذك العجب مما يعرض لك في عدة فصول وآيات من الفاظ الشتم وروح الانتقام كأنها نفثة مصدور قد نكَّل به النبيّ عدوّهُ وابتلاهُ باشد النكبات وهو مثابرٌ على امره يشفي غليله بقذف اللعنات والشتائم على من ظلمه ويستطر ناراً من

السماء على خصمه املَّ الديَّان العادل ينتقم لهُ ويشفي كربتهُ (١

ومصداق ذلك ما جاء في المزمور المئة والثامن فان آياته الاحدى والثلاثين تشتمل على عواطف ورغائب كأنها تصعد من اتون نار الحقد والضغينة وقد اورد فحواها القديس يوحنا فم الذهب في تفسيره المزامير قال (٢ : . . . . . .

يتمنى صاحب المزمور ان يرى خصمهُ مقبوضاً عليهِ مزجوجاً في السجن مقوداً امام الحكام محكوماً عليه بالإعدام لا بل يتمنى له ان يرى ما يُسخن عينهُ ويُرعد فرائصهُ من مشهد آله هابطين في تهاوي الذل والشقاء ورؤية امرأته ثكلى واولاده يكون صارخين من البرد والجوع وليس لهم من مجير ولا معين لانهم نسل الكافر ولا حقَّ لهم في الرأفة ولا نصيب من مودة الناس وهم في لعنة من ربهم ليُمحى اسمهم من ارض الاحياء ويُغفر خطايا ابيهم وامهم على لوح الحساب ويلٌ ويلٌ لعدو النبي فلا بد ان يخوض في لجة الاحزان ويهلك في هاوية البلايا »

وكأني بكاتب الوحي قد استقلَّ ما رشق به خصمه من الدعوات فزاد عليها وقال في الزبور الثامن والستين في العدد الثالث والعشرين:

لتكن مائدتهم فدَّامهم فخًّا وجزاء وشركًا
لتُظلم عيونهم فلا يُبصروا وأحنِ ظهورهم كل حين
صُبَّ عليهم سخطك وليدركهم وَغْر غضبك
لتَصر دارهم خرابًا ولا يكن في اخبيتهم ساكن . . .
زد على اثمهم اثمًا ولا يدخلوا في برّك
ليُمحَوا من سفر الاحياء ومع الصديقين لا يُكتَبوا

هذه اللعنات نقرأها في الزبور ال ٣٤ وال ٥٤ وال ٥٧ وال ٥٨ وال ١٣٦ ونميزها معتمدين في تعديد المزامير على اعداد الفصول كما نقرأها في الترجمة اللاتينية التي يُرجع اليها في البيعة (٣

ثم ان مقتضيات مقالتنا هذه تدعونا الى ذكر نظائرها من آيات السباب واللعن نقتطفها من المزامير ونوردها في مواضعها استعانةً بها على غرضنا وهو ان نعرف كيف

---

١) راجع مقدمة كرك بتريك على شرح المزامير Kirk Patrik A. F. : The Book of Psalms with introduction and notes . *Cambrige*, 1902

٢) اطلب شرحهُ على المزمور ١٠٨ في مجموع الآبا لمين (ج ٥٥ ص ٢٥٨)

٣) اما الترجمة العربية فاخذناها عن الكتاب المقدس المطبوع عند الاباء المرسلين اليسوعيين في بيروت

يسوغ لنا نحن المسيحيين ان نتلفظ بكلام النبي القاسي وقد علّمنا يسوع الحليم ان نصلي هكذا : « اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن نغفر » كأنه اوصانا ان الله لا يغفر لنا ما لم نغفر لاعدائنا . لا بل علّمنا ان نصفح عمّن ظلمنا واساء الينا أيّ صاح على الصليب : « يا ابتِ اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يعملون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) وكيف تأمرنا الكنيسة بتلاوة اقوال نستقبحها لا بل كيف تجعلها هي مرارًا على شفاه كهنتها عندما يتلونها رسميًّا في الصلوات العامة وكيف تحلّ عندنا تلك الاقوال ازاء الانجيل محلّ الاكرام والعبادة بما انها في الكتاب على ما فيها من معانٍ يخالف ظاهرُها ما تعلمناه عن عصمة التوراة من الخطإ والغلط والله مصدرها والروح القدس مؤلفها وهي كتاب الحق الازلي الى البشر واساس شرعنا الكنسي وينبوع ايماننا القويم

وعليه قد رأينا ان نجمع اشدَّ ما جاء في المزامير من اقوال الانتقام ونلخصها في ثلاث قضايا زيادة في الايضاح والتدقيق في وضع مقالتنا هذه فنقول :

(اولًا) ان النبي يستحلف الديّان العادل ان ينتقم من اعدائهِ اشدَّ الانتقام فاين منه المحبة وصفح الذنوب ؟

(ثانيًا) ان النبي يتمنى ان يبلغ القصاص من الشرير اقصاه حتى يحلّ بآله وامّه وابيه وزوجتهِ واولادهِ فاين منه العدل والانصاف لانه لا عقاب الا للمذنبين اما آل المذنب فهم ابرياء ؟

(ثالثًا) ان النبي يبالغ بالبغض عندما يتمنّى لخصمهِ ما لا يتمناهُ مؤمنٌ لأشدّ عدوّهِ اعني الهلاك الابدي فاين منه عاطفة الرحمة ومخافة الله ؟

فهل من سبيل الى حلّ هذا الشكل المُريب سيّما وقد شغل النفوس في ايام الحرب العظمى لمّا تساءل بعض المسيحيين هل يحقّ لهم ان يصوّبوا على اعدائهم اللعنات الواردة في المزامير . وطرحوا هذا السؤال على الاكليروس الانكليكاني وكانت في انكلترة الكنائس مفتوحة والناس يبادرون اليها زرافاتٍ ووحدانًا يطلبون النصر اساكفهم من رب الجنود . فانعقد المجلس المعروف بالبيتين للشورى (The Two Houses of Convocation) في مدينة كنتوربري وتُبودلت الآراء

واختلفت المذاهب بشأن تلك المزامير (١)

فمن المستشارين من كان يخاف من تحريفها صيانةً لحرمتها وهي كتاب الصلوات التقليدي الذي صادق عليه السواد الاعظم من البروتستانت الانكليز حتى امسى كدستور العبادة عند الخاصة والعامة منهم منذ انشاء البدعة البروتستانية فخافوا ان يكون تحريفه باعثاً على الشك والريب في قلوب السذّج منهم

الّا ان معظم المستشارين اقنع المجلس بالعدول عن الخطّة القديمة وحذف مزامير اللعنة من كتاب الصلوات لأنها امست في زعمهم قديمة العواطف لا تناسب العصر ولا روح الانجيل الذي هذّبنا واوصانا بالصفح ومحبّة الاعداء

ولم يجهل البروتستانت الانكليكانيون ان الكنيسة الكاثوليكية ما برح كهنتها يردّدون تلك المزامير في الفرض القانوني الّا ان المجلس رأى الاقتداء بها في هذا الامر غير محمود خلاف ما اعتادوه من الأخذ عنها في تدبير شؤونهم الدينيّة . امّا نحن فلا نرى في مزامير اللعنة ما يدعونا الى حذفها من الصلاة العامّة لانها وان كانت في الظاهر غير مطابقة لما تعلّمناه من المحبة للقريب ومسامحة الاعداء هي في الحقيقة ليست الّا اسلوباً قد اختاره الكاتب الموحى اليه من الروح القدس ليدلّ على احدى صفاته تعالى اعني عدلهُ الغير المتناهي وبغضه الغير المتناهي وهذا ما نروم ايضاحه في مقالتنا هذه

حاول كثيرٌ من شرّاح الكتاب المقدس ان يفكروا هذا المشكل الذي نحن الآن في صدده فلنأخذ بذكر بعض ارائهم زيادة الايضاح ورجاء ان نجد بين اقوالهم درّة ثمينة نلتقطها ونضمّها الى أجوبة جمّة يقتضيها الحلُّ الكامل لمشكلنا هذا .

. . .

ان كلفينوس زعيم بروتستانت جنيف شرح المزمور ٣٠ في كتابه الضخم الذي

---

(١) راجع Tracts on Common Prayer, nº 1. The Use of the Psaltor. 1 Plea for a revised used of the Psalter in Public Worship. by the Rev. C.W.Emmet. II The Imprecatory Psalms, by Dr Burney. III The Language of Vindictivoness in the Prayer Book, in the Bible, and in Moderne Life, by Dr Sanday. *Oxford* 1918-*Expository Times*, nº 12-*Sept*. 1918, *Vol*. 29

ضمنه مجموع تعاليم المصلحين كلّه (١ قال: « ان داود لا يدافع عن نفسه ولا يطاوع شهوةً ثارت في صدره بلا روية ولا حيكة بل انه بالهام روحي يطلب للهالكين ما يستحقونه فلا يدور في خلده عاطفة ثأر او ضغينة او غيرهـا من العواطف الغير المحمودة »

الّا اننا نلاحظ ان صاحب الزبور لا يتكلم عن الهالكين بل عن اناس احياء يدعو عليهم بالويلات في هذه الحياة. اما كلفينوس واتباعهُ في البدعة فانهم يعتقدون ان الله يَسِم بسمة الهلاك منذ هذه الدنيا اولئك الذين سبق وحدّد انهم سيهلكون ولذلك لا يرى كلفينوس ان في اقوال النبي عليهم بخساً في حقوقهم. الّا ان هذا تعليم ضالّ فاسد ومناقض لرحمة الله تعالى وجودهِ الغير المتناهي فانه تعالى كما قال القديس بولس يريد ان جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق (١ تيموثاوس ٢ : ٤) لانه صالح وحنون ولا يفرح بموت الشرير ولكن بخلاصه وقد بذل المسيح دمهُ لخلاص الجميع والإنسان ما دام عائشاً على الارض لا يحرمه الله تعالى نعمة التوبة والاهتداء.

ثم انه من طالع هذه الآيات في مواضعها لا يجد فيها شيئاً من الاعتدال كما يزعم كلفينوس (مزمور ٦٧: ٢٢):

« ان الله يهشّم رؤوس اعدائه
والهامة الشعراء من السالك في آثامه . . .
لكي تتخضّب رجلك بالدم
وتلحس السنة كلابك دمَ الاعداء »

. . .

ولقائل ان يقول ان ما جاء في الزبور ال ٦٨ وال ١٠٨ على لسان النبي من اللعنات انما مصدره الحقيقي اعداء النبي وهم المؤاخذون برغبة الانتقام والشتم والسباب

هبْ ذلك القول كافياً لإفحام من اعترض على ورود اللعنة في هذين الزبورين

(١ وهو المسمّى Corpus Reformatorum. Vol. 58. Joannis Calvini opera quae supersunt omnia. *Brunsvigae*, 1880. *In Psalm.* 108 *et* 34 .., *T.* XXX - XXXII

فكيف يسوغ ما ورد منها في كثير من الاسفار المقدسة ؟ فقد جاء في نبوة ارميا مثلاً (١٨ : ٢١) :

« سلِّمْ بنيهم الى الجوع وادفعهم الى يد السيف
ولتكن نساؤهم ثكالى وارامل ورجالهم قتلى الموت . . .
فلا تغفر اثمهم ولا تمحُ خطيتهم من امامك

. . .

وقد حاول بعض المفسرين ان يحملوا كلام اللعنة محمل التفاؤل والنبوة فقط . قال القديس يوحنا فم الذهب : ان الانبياء يتنبأون بالامور المستقبلة فيتكلمون عنها كما لو كانت حاضرة امامهم لهيبتهم في قلوب السامعين وتهذيباً لهم بامثال القصاصات التي حلَّت بغيرهم من الناس . وكذلك يعلّم اوسابيوس (١ ان الكتاب المقدس يستعمل صيغة الامر حيث تعوَّدنا استعمال المضارع . وقد اثبت مار توما اللاهوتي في شرحه المزمور ال ٥٤ قول القديس اوغسطينوس ان « كُن وكوني » معناهما « سيكون وستكون » وكذلك ارتأى رأي الاباء القديسين عدد غير قليل من المتحدثين فكتب الانبا دوكار (٢ في مؤلف له ردَّ فيه على من اساء تأويل الكتاب المقدس وعدَّه ككتاب بشري عرضةً للزلل والضلال قال : « ان تلك الاقوال التي يسميها لعنات من جعلوا دأبهم نقد التوراة دون فهمها ليست هي شتماً ولعناً إنْ هي الّا نبوّات » . وقال الانبا لسيتر (٣ : « هو الله يتكلم ويتهدد ويلعن فليس في اقواله طلب او تمنٍ او لعنة بل قال فحكم وجلا عمّا يكون »

وكأني بالاسفار المقدسة تثبت بعضها اقوام يورد القديس بطرس آيات المزمور ال ١٠٧ وال ١٠٨ كما لو كانت نبوّات لا لعنات قال (اعمال ١ : ٢٠) : « ايها الرجال الاخوة ينبغي ان تتمَّ هذه الكتابة التي سبق الروح القدس فقالها على لسان داود عن يهوذا . . . وقد كُتب في سفر المزامير ليصيرَ دارُهم خراباً ولا يكن فيها ساكن

---

١) راجع شروحهُ على المزامير في مجموعة الآباء لمين ج ٢٣ ص ٢٠٠ و ٤٨١

٢) الطلب Du Clot : La Ste Bible Vengée. p. 353, *T. II Gautier, Besançon* 1835

(3 Lesêtre : les Psaumes, *Lethielleux.*

وليأخذ رئاستهُ آخر ». ولذلك رأى العلامة كورنيلي هذا القول افضل حلّ للمسألة(١ » ولم انتقد هذا الرأي داڤيدسن» لانه مخالف لفكر المؤلف ومُبدل الامر بالمضارع حين ان الامر عند العبرانيين يُعبّر عن رغبة وقوع الفعل والمضارع عما يستقبل من الزمان » ردَّ عليه كورنيلي قائلًا: «لا ريب في ذلك ولكن لا يخفى علينا ان كثيرًا ما يأتي الامرُ بمعنى المضارع على سبيل المجاز كما ورد في اشعيا (٢٣: ١) : « وَلولي يا سفن ترشيش فقد دُمّرتْ حتى ليس بيت ولا مدخل . . . اندهشوا يا سكان الجزيرة . . . اخزي يا صيدون »

الّا انه ليس بيسير ان يُعدّ كل ما ورد من اللعنات في الاسفار المقدسة كنبوّات ولا نرى ما يمنع من استعمال حقيقة الالفاظ غالباً دون المجاز

فلذلك اجتهدنا ان نؤدي بعض الاجوبة نرجو انها تحلّ المشكل حلًا مُرضياً لاسيما اذا اتخذتها ايها القارئ اللبيب لا بأفرادها فقط ولكن بمُجملها فارتباط الادلة يزيدها قوّةً ويولد في العقل ذلك الارتياح والاطمئنان الذي يشعره الانسان اذا انتقل في معرفته من الشك الى اليقين

وبما اننا لخّصنا اقوال اللغة في ثلاث قضايا رأينا ان نرتب على ذلك التقسيم الاجوبة عن هذه الاسئلة الثلاثة . فنعرض اوّل سؤال ونقول: كيف لم ينقض صاحب المزامير من حقوق المحبة نحو القريب ؟

١ التوفيق بين حقوق المحبّة نحو القريب ودعوة الانبياء

قال العلامة سوارز (٢ ان الله تعالى في العهد القديم اخضعَ البشرَ لشريعة العدل والإرهاب فان نارًا من السماء هبطت واكلت قائد أخزيا ورفقاءه الخمسين لمّا دعا عليهم النبي ايليا (٤ ملوك ١ : ١٠) . امّا في العهد الجديد فكأني بالرحمة والرأفة تسلّطت على العدل والنقمة لان التلميذين يوحنا ويعقوب لمّا طلبا من المسيح ان يُنزل نارًا من السماء على السامريين قال لهما الرب (لوقا ٩: ٥٥) : « انتما لا تعرفان من اي روح انتما » ومعنى كلامه « قد زال روح العهد القديم روح العبودية والخوف وحلّ عليكم الان روح

(1 Cornely : Introductio in V.T. libros sacros, *Lethielleux*, 1887, p. 122

(2 Suarez: T. XIV. p. 15. de Oratione -c. 19, 6.

جديد روح المحبة والصفح» . اما صاحب الزبور فقد كان تحت ناموس قاس قيل فيه «العين بالعين والسن بالسن» فلم يكن يُخطئ اذا عامل خصمهُ بمقتضى ذلك الشرع ودعا عليه بما هو اهلهُ من الويلات والنوائب

لا بل ودعاء النبي على اعدائه وتسليمُ امره الى الله تعالى تجدير بالمديح في ايام تمرَّد فيها الناس اخذ حقهم من خصمهم دون الالتجاء الى سلطة شرعية مرتبة فكانوا يسفكون الدماء وشروط الثأر حلَّت لهم تلك الفظائع . اما داود فكان مزمعاً ان ينتقم من خصمه نابال (١ ملوك ٢٥ : ٣) الذي كان اهانه لكنه تنازل عن حقوقه الى الله تعالى وطلب منه ان يقتصَّ له من عدوه وحاز بذلك مديح الكتاب المقدس . فدعاؤه ولعنته كانا برهاناً على ايمانه بالعدل الالهي وتسلُّطهِ على شهوته

لا شك ان شريعة المحبة عُرفت عند يهود العهد القديم وكانت عندهم الوصية الثانية «احبب قريبك كنفسك» وهي اشبه بالاولى «احبب الهك من كل قلبك» ولم ينف الكتاب حقوق الخصم من تلك القرابة ولكنه لم يذكرها وروح الصفح والغفران في العهد العتيق كان نسبةً الى العهد الجديد كالطفل الصغير بقابلة الرجل القوي فلا عجب ان لم تظهر تلك فضيلة المحبة برونقها وجمالها في سيرة الابرار الذين حفظوا الناموس الموسوي ولم يشعروا بجلاوة شريعة من قال (متى ١١ : ٢٩) : «تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب . وقال (متى ٥ : ٤٤) : «أحبُّوا اعداءكم وأحسنوا الى مبغضيكم» . واذلك لم يتجاوز النبي حقوق المحبة لمَّا فاه على خصمهِ بكلام الانتقام والشتم بل عمل بحسب الناموس

٢ التوفيق بين سنَّة العدل ولعنات الانبياء

وربَّ معترضٍ يقول : قد سلَّمنا بذلك ان النبي اذا طلب من الله ان يقتصَّ له من عدوه وعمل بموجب الشريعة فلا حرج عليه وهو لم يتعدَّ حقوق القريب ولكن ليس الامر كذلك فانت تسمعه يلعن اولاد الخاطئ وآلهُ ويتمنَّى موت البريء فان كان العدل يسلِّح الحاكم بسلاح القوة والقصاص لينتقم ممَّن خالف النظام وذلك العدل فضيلة في الحاكم وهو من اركان المجتمع الانساني الَّا ان من تعدَّاه واستعمل ذلك السلاح الجارح في غير موضعه يرتكب جريمةً وقد يستعمل القصاصُ كسلاح في غير موضعهِ اذا عوقب الاثيم من غير ذنبٍ او بعقاب غير متناسب للذنب . فبناء على ذلك

قل يا رعاك الله باي حق يفوه النبي بمثل هذا الكلام في الزبور (٧٨: ١٢) : « وكافئ جيراننا بالعار الذي عيّروك به سبعةً اضعافٍ »

أفلم يكن كافياً ان يقتصّ الله من اعداء شعبه مرّة واحدة حسبما امر على لسان موسى «العين بالعين والسنّ بالسنّ» حتى يُنزل العقوبات مثلها ؟ واي خطيئة خطئ هؤلاء الاولاد الصغار وهؤلاء النساء والشيوخ حتى يتمنّى لهم صاحب الزبور عذابات وآلاماً تقشعرّ لها الابدان فاين العدل والانصاف ؟

نأتي بثلاثة اجوبة ردًّا على هذا الانتقاد فنقول :

(اولًا) ان الله تعالى كان يظهر عدله في العهد القديم ويقتصّ من الخطأة باشدّ صرامة منهُ الآن في العهد الجديد فيهذّب شعبهُ بالامثال والاضال ويُنذره بما فاتهُ عن شرّ الخطيئة الجسيم . لاننا منذ اضاءت علينا شمس الانجيل تعلّمنا ان الخطيئة هي الشر الغير المتناهي والدرَن الملطّخ النفس الفاصلها عن محبة خالقها فمن اجلهِ تنتقل من حال النعمة الى حال اللعنة وتصير مستحقّةً للنار الابدية . وقد نقرأ في جراحات الصليب كل ما احتمله الاله المتجسد ليفتدي بدمه ما خسرناهُ باوزارنا ويكفّر عن معاصينا تكفيرًا تامًّا فيسهل علينا النظر الى الذنوب بعين الذكاء وتقديرها كما يقدّرها الديّان الرهيب في ميزان عدله

امّا اليهود فلم يدركوا مثلنا ثقل المعاصي ليتحاشوها فحفر الله وصاياه على الحجر وعرضها لشعبه على يد موسى لعلّهم يفطنون وانذرهم أن «اجتنبوا المأثم والّا لأذيقنّكم مرّ العذاب فتعلموا (خروج ٢٠: ٥) «انّي انا الرب الهكم اله غيور افتقد ذنوب الاباء في البنين الى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ» وقد انجز الله ما وعد وانزل نارًا من السماء على سادوم وعامورة (تك ١٩: ٢٤) وارسل ملاكه فقتل ابكار المصريين وفتك بذينك اللاويّين اللذين مسّا تابوت العهد غير مكلّفَين

افمن العجب اذًا اذا تكلم على لسان نبيه بتلك اللعنات وتهدّد بها الاثيم وهو الاله ذو العدل الغير المتناهي فلا جرم اذًا على صاحب الزبور ان تمنّى لخصمه وآله واولاده ذلك العقاب الصارم الذي وضعهُ الله جزاء للخاطئ واهله كما انه لا جرم عليك ان رأيت شقيًا قد قتل غيرهُ وأبرز العدلُ المدني فيه حكم الاعدام ان ترغب تنفيذ الحكم ليتال الشرير ما يستحقه من العذاب ويكفي الدنيا شرّه

ولا تقل ان النبي تجاوز حقوق العدل البشري لما اقتصّ من خصمه كما يقتصّ الله من الخاطئ فاستطر الويلات عليه وعلى ذرّيته وآله كما لو كانت الاهانة التي صدرت في حقّ النبي تبلغ الاهانة المتوجهة نحو الله بالثقل والفظاعة وشتّان بين شرف الخالق وشرف الخليقة. أجل الآنّ النبي الداعي على الاثيم لا ينظر اليه كعدوّ شخصي بل كعدو الله نفسه ولذلك يطلب قصاصه وقصاص ذرّيته بحسب العدل الصارم ابتغاء لمجد الله عزّ وجلّ

ومن ثمّ نجيب (ثانياً) ؟ لان الله تعالى في العهد القديم كان قد قطع عهداً مع شعبه ان يتولّاه بعناية خصوصية ويدفع عنه غارات اعدائه ان سلك طريق الصلاح وعمل بحسب وصاياه وكان قد تنازل الله تعالى فأملى على لسان انبيائه شروطاً عقد بها اتفاقهُ مع اسرائيل بحيث يؤدون له واجب الخدمة في هيكل قدسه ويحافظون على شرائعه فينعمهم خيراتٍ ونعماً حتى في هذه الدنيا وان خالفوا عهده يعاملهم بقساوة ويفتقدهم بالآفات والمحن حتى في هذه الدنيا فأصبحت اذ ذاك سعادةُ اسرائيل وتماستهُ متعلقةً على حسن سيرته وخدمته لربّه او على اساءته اليه ومخالفته لما وعد به الله ورؤساء الشعب باسم الجميع. فبموجب ذلك النظام الالهي كان الصالحون خير مساعد للشعب والخطأةُ شرّ آفةٍ لهم. فالاولون بايمانهم وامثالهم يثبتون اخوتهم في الصلاح والبرّ ويستدرّون النعم والبركات والآخرون بتقبيح تصرفهم يجتذبون الضعفاء والسذج من اليهود الى الشرّ والكفر ويستطرون البلايا والويلات. فعلى هؤلاء قام النبي بكلام السبّ والشتم وتمنّى لهم العذاب لعلّهم يرعوون ويكونون عبرةً لمن اعتبر

ولمّا كثر عدد المنافقين واختلطوا بالامم المجاورة تعلّموا منها عبادة الاصنام ثم عادوا بين ذويهم يتعاطون شؤون الدين وهم مدنّسون ومن ثمّ انتصرت الامم على اليهود وقهرتهم وهتكت حرمة الهيكل واقداسه وخيف على وجود الشعب المنتخب وعلى الدين القويم فتسلّح النبي بالحمية الوطنية والغيرة على حقوق الشريعة وبيت المقدس وانشد وقال (المزمور ٧٨):

« اللهمّ ان الامم قد دخلوا ميراثك
نجّسوا هيكل قدسك جعلوا اورشليم اطلالاً

جعلوا جثث عبيدك طعاماً لطيور السماء
لحوم اصفيائك لوحوش الارض
سفكوا دماءهم مثل الماء حول اورشليم ولم يكن من دافن
صرنا عاراً لجيراننا وهزؤاً وسخرة للذين حولنا »

فهؤلاء الاشقياء اعداء الله اعداء اسرائيل واعداء النبيّ يتمنى هذا اشدّ البلايا:

أفِض غضبك على الامم التي لم تعرفك
وعلى الممالك التي لم تدعُ باسمك . . .
وكافئ جيراننا سبعة اضعاف في احضانهم
بالعار الذي عيّروك به ايها السيد »

فيدعوهم النبي امام الديّان العادل حتى في حياتهم هذه لئلا يزيدهم اعمال القصاص فجوراً فيكونوا كحجر عثرة وشكّ في طريق البار (المزمور ٤١: ١١) :

« اقول لله انت صخرتي فلماذا نسيتني
ولماذا اسعى بالحداد من مضايقة العدو
عند ترضّض عظامي عيّرني مضايقيّ
بقولهم لي النهار كله: اين الهك ؟»

ويتبيّن لنا جلياً كيف قرن النبي حجّته بحجّة الله تعالى وتنّى قصاص الخاطئ وهو خصمه في هذه الدنيا اذا تذكرنا ان اليهود كانوا يترقّبون في هذه الحياة إنجاز حكم الله بين الخير والشر. فنحن المسيحيون ان رأينا الشرير سعيداً والصديق تعيساً قلنا: «لا بأس لان المسيح قال: طوبى للحزانى طوبى للجياع طوباكم اذا اضطهدوكم من اجلي وسوف يأتي على سحاب السماء يؤدي لكل بحسب اعماله». اما اليهود فكانوا ينتظرون عقاب الاثيم في هذه الحياة كما كانوا يرجون المكافأة على الحسنات في هذه الحياة فلذلك يستحلف النبيُّ الله ان يظهر حكمته وتدبيره وقوته وعدله وينتقم حالاً من الشرير لئلا يقول للصديق: اين الهك ؟ الله لا يرى ولا يعرف (مز ٤٣: ١)

« اللهم احكم لي وخاصم لدعواي مع امة غير تقيّة
ونجّني من صاحب الكذب والاثم . . . »

(مز ٧٣: ٢) اما انا فاوشكت قدماي ان تزيغا وخطواتي كادت تزلّ
لاني غِرتُ من السفهاء اذ رأيتُ سلام المنافقين
فانهم لا اوجاع لهم الى الموت وابدانهم سمينة
ليسوا في ضرر كالناس ولا يصابون مع البشر»

وكأنَّ صبر الله زادهم شرًّا وفجورًا اردف النبيّ :

« لذلك تطوَّقوا الكبرياء وكسَوا ثوب الجور
فيهم الاثم يخرج من الشحم . . .
لذلك يرجع شعبي هنا ويجرعون مياهًا طافحة
ويقولون كيف يكون الله عالمًا وهل من علم للعلي ان هؤلاء منافقون
وهم مدى الدهر في دعة وقد ازدادوا ثروة
اذن باطلًا ذكيت قلبي وغسلت كفّي بالنقاء
وكنت مضروبًا النهار كله . . .
ولقد هممتُ ان أذرك ذلك لكنه سرٌّ في عينيَّ

ولذلك التجأ النبي الى الصلاة وتبصر في آخرة الاشرار وعلم انهم جُعلوا في مزالق ووقعوا في تهلكات وصاروا الى الخراب في لحظة وانقرضوا وفنوا من الاهوال فطاب نفسًا وقرّ عينًا لان الله انتصر على اعدائه (مز ٥٧ : ١١) :

« يفرح الصدّيق اذا شهد الانتقام
يغسل قدميه بدم المنافق
فيقول الانسان ان للصدّيق ثمرًا
ان في الارض إلهًا ديانًا »

وقد يراعي صاحب اللعنات حقوق الرحمة حتى في الاقتصاص من اعدائه لانه اذا طلب للشرير الخجل والعقاب فذلك ابتغاء لاصلاحه وخيره (مز ٨٣ : ١٧) :

« املأ وجوههم عارًا فيسألوا عن اسمك يا رب
ليخزوا ويرتاعوا الى الابد وليخجلوا ويهلكوا
فيعلموا انك انت وحدك اسمك الرب المتعالي على جميع الارض

(ثالثًا) وقد يُسمع من يقول : سلّمنا ان العدل الالهي في مظاهراته كان اقسى معاملةً للخطيئة في العهد القديم منه الان في الحاضر وانَّ بغض النبي للخطيئة في شخص الخاطي كونهُ عدو الله والصديقين أملى عليه اللعنات والشتائم التي قرأناها لكنَّهُ لا يندر ان تجد في المزامير بعض معانٍ مخالفة لكل روح انسانية ورحمة مما لا يطاق احتماله

وقد جاء في الكتاب الذي وضعه المحترم إمّت وقد اشرنا اليه في بدء هذه المقالة وعنوانه « استعمال المزامير » ما يلي تعريبه : « اي فائدة روحية يجتنيها مَن دخل الكنيسة وقت صلاة المساء او ايام الاحد فسمع الولد البريء القائم بخدمة الهيكل

او السيدة المتنية بنظام الترتيل ينشدان باجمل اصواتهما ويطلبان من الله ان يُشكل امراة عدوهما ويُبيثم اولاده ويسألان عسى ان يُمنحا النعمة فيخوضا برجليهما في دم الخطأة (مز ٥٧ : ١١) :

وقد ذكر كارل هِنْريش كورنيل الاستاذ في كلية هاله (Halle) الزبور ال ١٣٦ المشهور لما فيه من لطيف العواطف وحسن الشعور :

« على انهار بابل
هناك جلسنا فبكينا
عندما تذكرنا صهيون . . . »

حتى انتهى الى الآيتين الاخريين :

« يا ابنة بابل الخائبة الى الدمار
طوبى لمن يُمسك اطفالك
ويضربهم بصم الصخرة »

فقال : «من لي ان تُقطع يدي اليمنى ولا ارى هذه الآية في نهاية هذا الزبور الجميل!» فهل من وسيلة الى تأويل تلك الآية بحيث تخفف ما يظهر فيها من غليظ المعنى وشرس الطباع فلا تبالغ باستهجانها وتسلم يد الاستاذ كرنيل من القَطْع؟ أجيب نعم وحسبنا ان نرجع الى مصدرها ونبحث في غاية المؤلف فيها لنفهم معناها

فاقول ان تلك الآية كسائر الاسفار الموحى بها لها مؤلفان الاول هو الله تعالى والثاني هو الانسان . كلٌّ من الاثنين له في كتابة التوراة تأثير العلة الفعّالة بعملها اما الله تعالى فيبتدعها لكونه العامل الاول الاصيل واما الانسان فيؤثر فيها لكونه الآلة التي تنتقل الى انجاز العمل بحسب مشيئة ومعاملة العامل الاصيل . وانما مشيئة الله تعالى اذا استعمل الانسان كالالة ليست الا خلاص البشر وما من شأنه ان يهدي الناس الى غايتهم القصوى . فلأنّ الله تعالى املى على صاحب الزبور تلك الاية التي ادهشنا وجودُها في التوراة تحتّم علينا ان نقول انها موجودة لتعليمنا ومساعدتنا على السلوك في منهاج الصلاح بخافة الله وتقواه

الا انه ليس ضرورياً ان نتخذ هذه الاقوال وغيرها كما لو كان الله تعالى اوحى بها حرفاً حرفاً وبتمام نقطها الى النبي مهما ذهب اليه بعض المفسرين في هذا الزعم بل يسوغ لنا ان نتنسب اساليب المزامير وطرق معانيها واختيار الفاظها الى النبي نفسه

كانه وحده مؤلفها لانه وان كان آلةً في يـد العامل الالهي الّا انه آلةٌ حيَّة ولا جرم عليه ان يتصرف في تأليفه كما يتصرف كل مؤلف بحسب ما طُبع عليه من الميل الى الشعر او النثر والى استعمال التخيُّل والمجاز او النص البسيط واستعمال الالفاظ بحصر معناها . فبناء على ذلك اذا توخَّينا فهم آية من آيات الكتاب لا بدَّ لنا من الرجوع الى المؤلف البشريّ فندرس طبعه وعوائده واساليبه ثم نحكم عن معانيه بالقرائن . امَّا صاحب الزبور فبديهي انه كتب كشاعر وقد استعمل اساليب الشعراء في زمانه وبلاده فلم يخشَ ان يكتب ما كتب عن بنت بابل . وان ابتغينا ادراك حقيقة ما اختلج في صدره من العواطف فلا بدَّ ان نرجع الى عوائد العبرانيين في تلك الايام هي الدهور مضت عليها لكن اذا قاربنا بين ما جاء من اللعنات في التوراة وما يأتي من الشتم والهجاء والذم في اللغة العربية عاميَّةً كانت او لغويَّةً نرى ان لهذه الالفاظ جزءاً كبيراً من المجاز يأمرنا ان نخفف كثيراً من معانيهـا ان اردنا ان لا نتجاوز حدود الحق في فهمها فلا يندر انْ تسمع امًّا اذا عيل صبرها على ولدها تخزيه قائلةً : «تُضرَب» «يَكسِرُ يدك» «يقصف عمرك» ثم اذا هدأ ولدها او اظهر لها الطاعة تلاطفه بهذه الاقوال «تقبرني» «انت عيوني» واذا انصدع له عضو او وقع مريضاً تسمها تكلمه بالفاظ صاغها الحنو «يا بني انا فداك» . أفمن المحتمل ان ينتقل قلب الام من اللعنة الى البركة بمدة بضع دقائق؟ كلّا ثم كلا ولكن تلك الفاظ الشتم والسب جاءت على لسان الام ولم تقطن لها بل كانت كموجِّهة تهددت بها ولدها لعله يكفيها ويكفي نفسه شر الاذى . قال الشاعر عن لسان والدة :

ادعو على ابني وقـلبي يقول يـا ربّ لا لا

واوضح ما يدل على ان كلام اللغة ليس له تلك المعاني الغلظة التي تظهر لقارئ التوراة غير المتعود على عوائد الشرق ان بعض من الشتائم يتقابل بها الاصحاب على سبيل المزح والضحك «يخرب بيتك» «يلعن ابوك» وغيرها

وانك قد تقرأ في الكتب اللغوية ككتاب تهذيب الالفـاظ لابن السكيت وكتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني وكتاب مجمع الامثال لابي الفضل النيسابوري المعروف بالميداني ابواباً واقوالاً تختص بالهجو والشـأر والشتم واللعنة وقد جمعها المؤلفون ليستعين بها المطالع فيختار منها ما يصلح له في مناقشة او

محاورة او قصيدة سلكت بها عادة العرب الى السباب سواء كان ذلك بحصر المعنى او بالمجاز

وكثرة استعمال هذه الاقوال دليل على انَّ قائليها لم يُفوها حقّ الانتباه فيسألون عنها بتمام معناها. فمن الناس من يلمن الطعام سواء خالف او وافق ذوقه. وقد جاء في كتاب مجمع الامثال ما شابه الآيتين الثامنة والتاسعة من الزبور المئة والسادس والثلاثين شتماً وطعناً فاورد الميداني هذا المثل «تربت يداك» ثم علق عليه ما يلي(١ . «قال ابو عبيد يقال للرجل اذا قلّ مالهُ قد تَرِب اي افتقر حتى لصق بالتراب. وهذه كلمة جارية على السنة العرب يقولونها ولا يريدون وقوع الامر ألا تراهم يقولون: لا ارض لك ولا امّ لك، ويعلمون ان له ارضاً وامًّا قال المبرد: سُمع اعرابي في سنة قحط بمكة يقول:

«قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا رب العباد ما لنا وما لكا أنزل علينا الغيث لا ابا لكا

(قال) فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال: اشهد انه لا ابا له ولا ام ولا ولد

وكذلك يُضرب المثل لمن يطلب ما لا نفع له: «ثكلتك امك اي يرد تُرقع» فمن نقل هذه الالفاظ الى اللغة الافرنسية مثلاً ولم يراعِ بترجمتها اصطلاح المجاز بل عبَّر عن كل لفظة بحصر معناها ابتعد عن المعنى الاصلي ودفع القارئ الافرنسي الى القول: «يا لهم من امة متوحشة» مع ان الضارب بالمثل العربي تنى الثكل لأم صديقهِ على سبيل المزاح

ورب شتائم ولعنات جاءت بصورة التمني وليس لها في واقع الامر الّا معنى الذم «كجدع الله مسامعه» فعلق الميداني على هذا المثل وقال (١ : ١١٣): «هذا من الدعاء على الانسان والمسامع جمع السمع وهو الاذن وجمعها بما حولها كما يقال غليظ المشافر وعظيم المناكب». فهذه وغيرها(٢ من الأمثال تسوّغ لنا منهم ما جاء في المزامير من اقوال لا يطابق احتمال معناها كما يفهم العرب اقوال الشتم والهجاء بحيث نعتبرها كاسلوب من اساليب البلاغة ويحق لنا تشبيه عوائد الكتاب العبرانيين بعوائد كتاب

---

١) راجع الجزء الاول من مجمع الامثال للميداني (طبع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هجرية في الوجه ٨٨). ٢) مثل ما جاء في كتاب الامثال في الوجه ١٢٩: «لا ترك الله لهُ في الارض ولا في السماء مصعداً» عن دعاء قالتهُ امرأة على ولدها

العرب لما بينهم من قرابة الاصل واللغة والآداب

٣ التوفيق بين عاطفة الرحمة وغيرة الانبياء هلاك اعدائهم

اما الان فبقي علينا ان نردّ على ثالث سؤال يأتي به مَن انعم النظر باقوال النبي على خصمه «ان يُمحى اسمه من كتاب الاحياء ومع الصديقين لا يُكتب» (مز ٦٨: ٢٩) فاننا قلنا سابقاً ان الله تعالى يقتصّ من الخاطئ لاصلاحه وخيره فكيف يطلب النبي من الله ان يُضرب الشرير فيهلك؟

وقد رأينا ان نعالج هذه الاية بمعزل عن سائر ايات الدعاء واللعنة لما لها من المعنى الخطير لانه لا انسان يدرك حقيقة الهلاك الابدي والافتراق الابدي عن الله الغاية القصوى الّا ويتمنّى أن يهتدي البشر اجمعين الى خالقهم ويخلصوا من النار فكيف وردت تلك الاية على لسان النبي وهو كاتب الوحي؟ قد شغل المفسرين هذا المشكل فاتوا باجوبة منها :

(الاوّل) ان النبي لمّا تمنّى لخصمه «ان يمحى اسمه من سفر الحياة لم يطلب هلاكه لانه لم يكن يفهم بتلك الحياة السعادة الابدية الفائقة العقول التي علّمنا العهد الجديد انها تكون برؤية الله تعالى وجهاً لوجه والتمتّع به. وكما ان معرفة اليهود لعواقب الانسان كانت محدودة وغامضة ان يحثوا عن النعيم فكذلك كانت غير تامّة وغامضة ان يحثوا عن الجحيم فيأتي ذكرها خمسين وستين مرة في التوراة وليس لها المعنى الذي يُراد به عندنا مقر الهالكين

فان قرأت ما كتبه ايوب عن الدار الخالدة بقيتَ في ريب هل فرق المؤلف بين جحيم الصديقين (وهو اليسبوس) وجحيم الخطاة (اي جهنّم) او هما عنده سواء (ايوب ١٤: ٧): «الشجرة لها رجاء فانها اذا قُطعت تُخلف ايضاً وفراخها لا تزول... اما الرجل فاذا مات لبث هناك والبشر متى فاضت روحه فاين يوجد...».

وكذلك جاء في سفر الجامعة من الاقوال بحيث يظهر منها ان اعتقاد اليهود في العهد العتيق لم يكن واضحاً بما يخصّ عواقب الانسان وجزاء الخير والشر في الحياة الاخرى (الجامعة ٩: ٣) «وشر ما يجري تحت الشمس ان حادثاً واحداً للجميع فتمتلئ قلوب بني البشر من الخبث وصدورهم من الجنون في حياتهم وفيما بعد يصيرون الى الاموات... والاحياء يعلمون انهم سيموتون اما الاموات فلا يعلمون شيئاً

وليس لهم من جزاء بعد اذ قد نُسي ذكرهم». ذكرتُ هذه الايات لا كأن العقائد العظمى التي يعرف بها الانسان خلود النفس وجزاء الاعمال في الحياة الاخرى لم تكن راسخةً (١ عند اليهود ولكن لأُبيّن انها لم تكن معروفةً عندهم بتمام الوحي وصراحة التعليم كما هي عندنا منذ اشرقت علينا شمس الانجيل. وقد تعوَّد اليهود كما قلنا سابقاً على انتظار إنجاز حكم الله منذ هذه الحياة فيبارك الصديق بطول العمر وكثرة الاموال اما الخاطئ فعقابهُ الموت. ولذلك يُباح لنا ان نؤوّل قول النبي انه لما تمنى خُصمه ان يُمحى اسمه من سفر الاحياء لم يتمنَّ له الهلاك الابدي بل يطلب موته او ابعاده عن شركة الصدّيقين او عن جمع اسرائيل لئلا يصير علّة للشك والخطيئة بينهم

وكذلك ان تمنى النبي لخصمه ان «لا يُكتب مع الصدّيقين» لا نرى من الضرورة ان نفهم كلامه كانه دعا عليه بفقد حالة النعمة وخسارة مودة الله تعالى ومحبته لان تعليم اليهود الديني لم يَرْقَ بهم الى معرفة تلك الحياة الروحية التي علّمناها المسيح له المجد لكنهم كانوا يقصدون بها فضائل تؤثر بحياة الانسان الخارجية اكثر منها بالداخلية فالطهارة كانت تُحفظ عندهم خصوصاً بالامتناع عن مسّ ما حرم الناموس مسَّهُ والقداسة بالانفراد عمّا حرم الناموس الاجتماع به ولو كان مباحاً من وجه الشريعة الطبيعية المكتوبة على الواح القلوب. فلذلك ان سمعنا صاحب الزبور يحرم خصمه من جماعة الصديقين فحسبنا ان نفهم كلامه كما لو تمنى طرد الخاطئ من اسرائيل

(الثاني) قال الاب الفريد دوران اليسوعي في شرح هذه الآية كما سمعناهُ من فمه ان النبي لما تمنى لخصمه ان يمحى اسمهُ من كتاب الاحياء تكلَّم على سبيل المجاز كما كان سبقه موسى فقال لله تعالى: «والان ان غفرت لهم خطيئتهم والّا فامحني من كتابك الذي كتبتَهُ». وتبعه بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين في الفصل التاسع في الآية الثالثة وكتب: «ولقد وددت لو اكون انا نفسي مُبسلًا عن المسيح من اجل اخوتي»

فليس من المحتمل ان صديق الله موسى وصديق المسيح بولس يرضيان بافتراقهما عن محبة الله وتعبته انما تكلما بتلك الشدة ليُظهرا عظم محبتهما للشعب ولا يحق لنا

---

١) واعتقادهم في ثواب النعيم وعقاب الجحيم يظهر حتى في الاسفار التي يُشكل معناها على الشارحين كسفر الجامعة. وقد اثبت المشرق سابقاً فصلًا خصوصياً في اعتقاد اليهود بخلود النفس وجزائها بعد الموت انّ (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٨٧٨-٨٨٦)

ان نأخذ كلامها بحصر المعنى . وكذلك ان سمعتَ النبي يقول ما قاله من بليغ اللعنة فلا تأخذه بحصر المعنى

(الثالث) ومن الناس من يفضل اخذ الفاظ تلك الاية المخيفة بحصر معناها ولا جرم عليهم في ذلك كما انه لا حرج على النبي ان يتمنّى التدهور للشرير من خطيئة الى خطيئة الى ان يقع في هاوية العذاب الابدي لانه ينتصر لشريعة الله تعالى ويطلب منه ان ينجز ما قدّره بعدله الازلي على الخطيئة في شخص الخاطي فيؤدب البشر بتلك القصاصات الرهيبة التي يخشونها اذا رأوها قد حلّت في غيرهم

ولا نستكبرنّ ذلك العذاب عذاب النار الابدي والابتعاد عن الغاية القصوى فليس باكبر من شر الخطيئة فاننا لا نتشكّى من مثل هذه الاقوال وغيرها الّا لاننا اضمنا المعنى الحقيقي للكتاب المقدس مع ما يتضمن من البغض الغير المحدود لشر الخطيئة (١ اما النبي فكان ينظر اليها متجسمةً في شخص الخاطئ فلم يفرق بين الشخص وفعله وتمنى له ما استحقّهُ من العقاب

والمسيح نفسه اله الرأفة والوداعة والغفران صوّب الفريسيين سهاماً صائبة وويلات مرهبة لعلمه انهم متمردون بخطيئتهم فكرههم ككراهته للخطيئة . وكذلك الكنيسة في صلواتها تطلب انكسار اعدائها لئلا ينتصر الشر على الخير بانتصارهم

جئنا بعدة جوابات حاولنا ان نحل فيها المشكل المتولد من قراءة دعوات المزامير فبيّنا كيف انها مع ما تتضمنه من الكلام الفظ والعبارات المستبيحة لا تتعدى حقوق العدل وقد جاءت في الكتاب المقدس لتهذيب الشعب الاسرائيلي وردعه عن المآثم

الّا اننا عند الختام لا بدّ لنا من الجواب على من يسأل هل يجوز لنا معشر المسيحيين ان نتلو في صلاتنا هذه المزامير وان نصوّب اعدانا بالدعاء والشتم فاقول ان الكنيسة هي المعلمة للايمان وللصلاة وبما انها امرت كهنتها بتلاوة المزامير اجمعها فلا جرم علينا ان تلونا تلك المزامير ايضاً على شرط ان نتمسك بالمعاني المفيدة لنفوسنا والملائمة لروح الانجيل ونبعد عن فكرنا ما جاء فيها مخالفاً لمحبة الاعداء والغفران لهم

ولا بأسَ ان نوجّه تلك اللعنات الى اعداء نفوسنا غير المنظورين اعني الاباليسة الاشرار اعداء الله واعداء نفوسنا وقانا الله شرّهم

(١ قالهُ بُرْني في شرح هذه الآيات « We have largely lost the true Biblical conception of the exceeding sinfulness of sin» p. 38

المئة السابعة لوفاة القديس دومينيك

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

هذه السنة الحاضرة غنيَّة بتذكار ما وقع في مئاتها السالفة من الامور الخطيرة ولاسيَّما وفيات افرادٍ من كبار الرجال. وقد مرَّ لنا في الاعداد السابقة ذكر البعض منهم وضربنا الصفح عن غيرهم ولا يسعنا السكوت عن واحد منهم خدم الدين والهيئة الاجتماعيَّة بنفسه وبتلامذته من بعده نعني به القديس دومينيك منشئ الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الذي احتفل رهبانهُ الاجلَّا ووطنهُ اسبانية بتذكار المئة السابعة لوفاته في ٦ آب المنصرم

مدائح القديس دومينيك

دومنغو دي كزمان ولد سنة ١١٧٠ للميلاد في بلدة كلاروجة من اعمال قشتالية في ابرشيَّة أوسما. وكان ابواه من اشراف تلك البلاد يُدعى والدهُ فليكس ووالدتهُ حنَّة أزرا. وكانت هذه سيِّدةً صالحةً عريقة في البرّ والتقى يُروى عنها اذ كانت حبلى بابنها انها رأت في حلمها كلباً وبفيهِ سراجٌ منير يطوف بهِ في الارض. وكذلك رأوا يوم تنصيرهِ كركباً ساطعاً على جبينهِ فتوسَّموا بذينك الامرين خيراً لمستقبل الصبيّ ودُعي الطفل دومنيك اي عبد الاحد

نشأ الولد في حجر والدتهِ على الصلاح والورع الى ان ترعرع فسلَّمتهُ أمُّهُ الى خالهِ وكان رئيس كهنة من افضل ارباب الدين ليتخرَّج تحت نظارتهِ في الآداب والفضيلة فبلغ فيهما حيث لم تبلغ الآمال والهمم وقرنَ بين العلم والدين حتَّى أُشير اليهِ بالبنان في كليهما

وفي الخامسة عشرة من عمرهِ ارسلهُ ابواهُ الى جامعة مدينة بالنشيه من اعمال مملكة لاون فانكبَّ هناك مدَّة تسع سنين على درس الفلسفة واللاهوت فنبغ فيهما واستفاض صيتهُ فكان الناس يقصدونهُ في فكّ مشاكلهم فيلبّي دعوتهم ويُحسن

معاملتهم ويرشدهم الى ما فيهِ صلاحهم فيعودون شاكرين يلهجون بسموّ فضيلتهِ ويطرئون سعة علمهِ

وفي سنة ١١٩١ أُصيبت بلاد اسبانية بالمجاعة فازدحم الفقراء على ابواب المحسنين فما كان من دومينيك الّا انهُ افرغ جيوبهُ وفرّق ما كان لهُ من الدراهم على المحتاجين ثمّ باع امتعتهُ وكتبهُ ووزّع عليهم اثمانها . وبلغ بهِ حبُّ القريب الى ان عرض على امرأةٍ ان ينتدي ابنها من أَسر المسلمين ويقوم مقامهُ لولا انّ اصحابهُ تصدّوا لهُ ومنعوهُ

٢ الكاهن رجل الله

ذاع صيت دومينيك في وطنهِ فاستدعاهُ اسقف مدينة أُوسما ومع كونهِ في مقتبل الشباب اقامهُ في كنيستهِ في جملة اكليروسها القانوني بصفة ارشدياقون فما لبث ان اصبح قدوةً لكل رصفائهِ بعبادتهِ واستحرارهِ بالصلاة وتجرُّدهِ عن كلّ ملاذّ الحياة بالاصوام المتواترة والتقشفات اليوميّة كلبس المسح والنوم على الحضيض وجلد جسدهِ بالمقارع

فحدا ذلك باسقفهِ الى ان يرسمهُ كاهناً ليفلح كرم الرب وينتطع الى خلاص القريب . فزادتهُ نعمةُ الكهنوت غيرةً فعلّم اولًا اللاهوت وشرح الكتاب المقدّس في بالنشية ببلاغة عظيمة . ثم اخذ يطوف اقاليم مملكة اسبانية كتالونية وقسطيلة وليون يدعو اهلها الى قداسة الحياة فكان حيثما يعظ او يوزّع الاسرار يحيي في القلوب شواعر الايمان ويردّ الخطأة الى التوبة ويهدي الضالّين من اهل البدع الى حجر الكنيسة فكان لكلامهِ في النفوس وقع عظيم

ولمّا كانت السنة ١٢٠٣ طلبهُ اسقف أُسما ليرافقهُ الى فرنسة ليقوم بمهمّةٍ عهدها اليهِ ملك قسطيلة الفنس التاسع لدى ملك فرنسة . فنجاء النجاح موافقاً لرغبتهما على انهما لم يعودا الى اسبانية اذ عاينا انّ جنوب بلاد فرنسة اضحت كشعلة من النار بما اثارهُ الهراطقة الالبيجيُّون من الفتن اذ كانوا يتدفعون اندفاع السيل الجحاف على المدن والقرى ينهبون اموالها ويقتلون سكّانها ويبثّون فيها اضاليل مساني المبتدع اي الثانويّة والاشتراكيّة . ومن ثمّ قصدا المدينة الخالدة رومية العظمى وطلبا من الحبر

الاعظم اينوشنسيوس الثالث ان يرخص لها في مناهضة اولئك المبتدعين وارشادهم امّا هما يمنعان الشرّ من الاستفحال والتفاقم. فرضي البابا بكل طيب قلب بما عرضا عليه وبارك نيّتهما وتمنّى لهما خيرًا

٣ الرسول المغبور

عاد الرسولان الى فرنسة واجتمعا بممثلي الكرسي الرسولي وبرهبان القديس مبارك وزعماء الكاثوليك ليتّفقوا على الوسائل الواجب التوسّل بها لكبح جماح الهراطقة. واذ كان بعضهم يجنحون الى استعمال القوّة والتنكيل رأى دومينيك انّ وسائل الاقناع أفضل واولى. ومن ثمّ اشار الى الحضور ان ينبذوا في معاشهم كلّ ترفٍ وبذخ ويسلكوا مسالك الرسل فيكتسبوا بمثالهم اولئك الخوارج ويردّوهم الى الصراط المستقيم. فاجاب كثيرون الى نصائحه

امّا القديس دومينيك فانّهُ مشى في مقدّمة الجميع ونزل في ذلك الميدان يدعو اليه كالراعي الصالح تلك الخراف الضالّة. وأقام في بهرتهم في مدينة ألبي حيث قويت صولتهم واشتدّت شوكتهم ومنها اشتقّوا اسمهم الالبيجيين. فكان يواصل عملهُ ليلًا مع نهار تارةً بالوعظ والارشاد وحينًا بالمحادثات والمجاملات وطورًا بالعجائب التي كان يجترحها ليثبت صحّة اقوالهِ من شفاء مرضى وخلاص غرقى واحياء موتى وطرد الابالسة. وممّا اقترحهُ على الهراطقة أن تُلقى في النار كُتب الفريقَيْن فاذا ثبت بعضها على اللهيب عرفوا صحّة ايمان كَتَبَتِها فرضي الجمهور واضحت صحائف الالبيجيين بلمحة عين رمادًا بخلاف الكتب الكاثوليكيّة التي أُلقيت ثلاثًا في الموقدة فلم تؤثّر فيها النار. فكانت هذه الاعجوبة مدعاةً لارتداد بعض الهراطقة الى الدين الحق

لكنّ معظمهم بقي مصرًّا على ضلاله فأثّر عنادهم في صدر دومينيك ولم يشأ ان يشتدّ عليهم بالعقاب فالتجأ الى العذراء مريم التي كان واثقًا بحمايتها وطلب اليها بالحاح ان تشير اليهِ بواسطة فعّالة يُلين بها تلك القلوب الصمّاء. فظهرت لهُ ووعدتهُ خيرًا اذا نشر عبادة تأمّلات اسرار حياتها وحياة ابنها الالهي الخمسة عشر من فرح وحزن ومجد في الوردية المقدّسة او المسبحة. فاسرع القديس وعلّمها سامعيهِ فانتشرت بعد قليل في جنوبي فرنسة ولاسيّما في الجهات المربوءة ببدعة الهراطقة فارتدّ بممارستها

الوفٌ منهم . ومن النعم العجيبة المنسوبة الى الورديّة انَّ ملكة فرنسة بلَنْش دي قسطيلية قصدت القديس وطلبت اليه ان يباركها ويصلّي لأجلها كي يمنحها الله وارثاً للمملكة فاشار اليها بصلاة الورديّة فتبعت مشورة القديس ولم تزل تتلوها بحرارة حتّى حبلت بذاك الملك العظيم والقديس الجليل مار لويس التاسع فخر دينه ودولته معاً ومرآة اشرف الفضائل المسيحيّة

ومما يُنسَب الى فضل القديس دومينيك انتصار الجيوش الكاثوليكيّة على عساكر الالبيجيين . فانَّ الخبر الاعظم اينوشنسيوس الثالث اذ رأى الفظائع التي يقترفها الهراطقة في بعض انحاء فرنسة وانَّ شرّهم لا يزال يستفحل رغماً عما يفرغهُ القديس دومينيك من كنانة الجهد لهدايتهم أوعز الى ملك فرنسة بان يحاربهم فامر احد كبار الامراء وهو المدعو سيمون دي منفور ان يفلّ شباتهم فحشد الامير جنوداً من الكاثوليك في عدد الف وثلاثمائة مقاتل فاسرع الهراطقة الى محاربته وكان عددهم ينيف على مائة الف جندي وحاصروهُ في قلعة حريزة كان تحصّن فيها فلم يهلع قلب سيمون دي منفور الباسل وانّما تقرّبوا من الاسرار الالهيّة وخرجوا كالاسود الى ساحة الوغى بينما كان القديس دومينيك يصلّي لاجلهم كموسى يوم محاربة الاسرائيليين لاعدائهم فانتصر الكاثوليك على الالبيجيين انتصاراً باهراً فبدّدوهم شذر مذر ورجعوا سالمين لم يُفتقد منهم سوى سبعة جنود وذلك هو انتصار موره (Muret) في ١٢ ايلول من السنة ١٢١٣

وقد انتهز اعداء الكنيسة هذه الفرصة ليرموا القديس دومينيك بتهمة باطلة زاعمين انهُ كان سبباً لما جرى من الدماء في تلك الحرب وهي امري شكاية بلا سند ومما يشهد لهُ التاريخ انَّهُ كان اذا وقف على فعل ذميم في احد الجنود الكاثوليك كان يرفع الامر الى القائد ويكتّم الفاعل بجرأة فيردعهُ . على انَّ الآثام والمظالم التي كان يقترفها الهراطقة لم تسمح لهُ بالسكوت عنهم فعيّنهُ البابا اينوشنتيوس كمفتّش عن دُعاتهم وناشري ضلالهم لمحاكمتهم وقطع نظامهم ففعل بكل همّة وانصاف

٤ منشئ الرهبانيات

رأى دومينيك انَّ الاعمال العظيمة لا تثبت الّا بجميع القوى والاتحاد وذلك ما

حدا به الى انشاء جمعيات رهبانية تساعده في سائر مشروعاته الرسولية

وكانت اوّل رهبانية فكّر في انشائها رهبانية نساء لتهذيب بنات جنسهنّ وكان ذلك في السنة ١٢٠٦ في مدينة تولوز انتشرت بزمن قليل في عدّة بلاد واتت بأثمار يانعة سواء كان لتقديس الراهبات لنفوسهنّ ام لتربية الفتيات وخصوصاً بنات الأعيان والاشراف

وكان يصحب القديس دومينيك في اعماله الرسولية بعض الرجال من ذوي الصلاح والغيرة يشاطرونه اتعابه ففكّر بعد انتصار الكاثوليك من الالبيجيين ان يضمّ اليه رجالاً تجمعهم روابط الاخاء والدين ليبشروا في انحاء فرنسة واسبانية ويساعدوا الكاثوليك في شؤونهم الدينية. ولم يفرض عليهم اوّلاً رسوماً ولم يكد يفرزهم عن الكهنة العاملين في معاشهم ولبسهم وانما نظمهم في جملة القانونيين. وتمّ ذلك اوّلاً في مدينة تولوز . فما لبث ان رأى ما ينجم بتبشيرهم من الخير فقصد رومية لينال من الحبر الاعظم تثبيت جمعيته كرهبانية قانونية وكان اذ ذاك الجالس على كرسيّ القديس بطرس اينوشنسيوس الثالث وهو لا يرى في انشاء رهبانيات جديدة منفعة للكنيسة . وصادف وصول القديس دومينيك الى عاصمة الكثلكة وفود القديس فرنسيس الاسيزي اليها وهو ايضاً يطلب تثبيت رهبانيته فلم يجدا في اوّل امرهما اذناً صاغية في الحبر الروماني الى ان اراه الله في الحلم كنيسة مار يوحنّا اللاتراني الكبرى متداعية على وشك السقوط لولا انّ فرنسيس ودومنيك سنداها بمنكبيهما وقوّيا دعائمها فعدّ ذلك وحياً من الله واثبت الرهبانيتين في السنة ١٢١٥

واذ اقيم في تلك السنة مجمع مسكونيّ في رومية وهو اللاتراني الرابع حضره دومنيك وسُرّ لضرب البدعة الالبيجيّة فيه بالحرم ثمّ عاد الى فرنسة لتدبير رهبانيته فاتّخذ لها قانون القديس اوغسطينوس كما اوعز اليه الحبر الاعظم . على انّ اختلاف الازمنة وتباين الاحوال اضطرّا القديس الى ان يحوّر ذلك القانون ويزيد عليه بنوداً مختلفة فعاد الى رومية لينال الاجازة عنها

وكان في غضون ذلك توفّي البابا اينوشنسيوس الثالث وخلفه اونوريوس الثالث فأثبت تلك التحويرات ومنح القديس دومينيك كنيسةً مع ملحقاتها في رومية ليقيم فيها ديراً لرهبانه . فما كاد يتمكّنه حتّى تقاطر اليه جمهور الطلبة فانافوا على المئة عدًا

فمنى القديس بتهذيبهم على الآداب الرهبانيَّة وانتشر في ايطالية عَرف فضائلهم فعُرفوا بالاخوة الواعظين لاهتمامهم خصوصاً بالارشاد والتبشير . ثم عيَّن لهم القديس ثوباً ابيض كما اوحتْ بهِ لاحد رهبانهِ العذراء مريم مع شملة سوداء فوقهُ كعلامة لطهارة قلوبهم وتجرُّدهم من الجاه العالمي

وبعد ان رأى دومينيك انَّ رهبانيَّتهُ قويت جذورها ونمت فروعها في ايطالية عاد الى فرنسة واجتهد في تعزيزها وترقيتها في انحاء اوربَّة فلم تخب مساعيهِ . فدعا الاساقفةُ والملوك وارباب الصلاح رهبانَ مسار عند الاحد فتحوا الاديرة في نواحي فرنسة ولاسيَّما في عاصمتها باريس حيث سمَّوهم باسم «جاكوبين» لسكناهم في كنيسة يعقوب الرسول برخصة كليَّة باريس . ثم انتشروا في اسبانية والبرتغال والمانية والمجر وبولونية وروسيَّة ومما كان يساعد على نموهم شهرة منشئهم الجليل وما كان يأتيهِ من المعجزات والكرامات العديدة حيثما ترسخ قدمهُ

وقد اضاف القديس دومينيك الى فضلهِ هذا على الكنيسة فضلاً آخر تمَّ بهِ الجبلُ المثلَّث المتين ألا وهو انشاؤهُ للرهبانيَّة الثالثة المختصَّة باهل العالم . وقد مرَّ لنا في عدد سابق ذكر الرهبانيَّة الثالثة التي انشأها القديس فرنسيس لتقديس حياة المؤمنين الساكنين في العالم وما نجم عنها من الخيرات العميقة ولاسيَّما لانعاش الروح المسيحي بين الشعوب . فما قيل هناك عن الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة يصدق تماماً عن الرهبانيَّة الثالثة الدومنيكيَّة التي استحقَّت بغيرتها الاسم الذي دعاها به عسكر المسيح واننا نشير اليها إشارةً اذ لا يسمح لنا ضيق المقام بالاتساع في وصفها

فكل هذه المآثر الجليلة قام بها القديس دومينيك في السنين الاخيرة من حياتهِ . وكان آخر ما انشأهُ ديرًا كبيرًا لراهباتهِ في رومية في كنيسة القديسة سابينا وكان نقل اليها راجعاً لبعض شؤون رهبانيَّتهِ ثم غادر رومية ووصل الى مدينة بولونية فأنذرهُ الله بقرب وفاتهِ فوال جزائهِ في دار الخلود فتهلَّل قلبهُ لهذا النبأ واستعدَّ للقاء ربِّهِ بقبول الاسرار وبعد ان جمع ما لقيهُ هناك من تلامذتهِ واوصاهم وصاتهُ الاخيرة بممارسة كلّ الفضائل الرهبانيَّة وزوَّدهم ببركتهِ الصالحة لفظ روحهُ البارَّة بين يدي خالقهِ في اليوم السادس من شهر آب سنة ١٢٢١ وكان في الثانية والخمسين من عمره .

٥ تمجيد الله لوليه ـ نموسلانه

ما برح دومنيك هذه الفانية حتّى اوحى الله بمجده في جنّة النعيم فظهر بالبهاء والجلال لبعض رهبانه وتضاعفت الآيات السماويّة عند قبره حتّى اضطرّ ارباب الدير الى ابتناء كنيسة متّسعة الارجاء لكثرة من كان يقصدها لاكرام ذخائر وليّ الله . وبلغ خبر تلك الكرامات مسامع الحبر الروماني غريغوريوس التاسع فامر بان يشاد لهُ قبر جديد اجلّ واشرف من السابق فلما فُتح القبر الاوّل حتّى فاحت منهُ روائح طيّبة تعطّرت بها الكنيسة مدّة ايّام وجرت عجائب جديدة بنقل جثمانهُ وكان ذلك سنة ١٢٣٣ وفيها اعلن البابا الوما اليه بقداسة دومينيك وادرج اسمهُ في سجلّ القديسين

امّا رهبانيّتهُ فها قد مرّ عليها سبعمائة سنة وهي لا تزال كدوحة نامية تبهج كنيسة الله بأعمال ابنائها الاجلّاء فلا تكاد تجد نوعاً من الفضل الّا وقد امتازوا بهِ سواء كان في التعليم ام في التبشير او في الوعظ او في الكتابة والتأليف ولو لم يَقُم بينهم غير المعلّم الملاكي القديس توما الاكويني شمس المدارس لكفى لهم بهِ فخراً فما قولك بعدد لا يُحصى من رجالهم العظام بينهم احبار رومانيّون كالقديس بيُوس الخامس وبندكتوس الثالث عشر وقدّيسون كرام كالقديس انطونينوس الفقيه والقديس منصور فرّاريوس بوق الدينونة والقديسة كاترينة السيانيّة والقديسة وَرْدة من ليما ومرسلون غيورون كالقديس هياكنتوس ودي لاس كازاس . ومن يجهل في زماننا الذين اشتهروا في عهدنا في القرن المتصرم كالاب لاكوردار منشئ المحاضرات الدينيّة في كنيسة باريس الكبرى ومجدّد رونق الرهبانيّة الدومنيكيّة وكالابوين موندبراي وجانفيه الواعظين المبرّزين

وقد اصاب شرقنا العزيز نصيبهُ من افضال الرهبانيّة الدومينيكانيّة وذلك منذ عهد الصليبيين برسالات موقتة انتدبهم اليها الاحبار الاعظمون ثمّ برسالاتهم الثابتة لاسيّما الرسالة الموصليّة حيث فتحوا الاديرة واداروا المدارس وانشأوا المطابع وقد اشتهر بينهم رئيسهم الطيب الذكر السيّد غزالس دوثال الذي تعيّن بعد ذلك كقاصد رسوليّ على سوريّة فخدم بلادنا بغيرة لا تعرف الملل . ومن آثارهِ ذاك السّتال الجميل الذي يزين مشارف حريصا اقامهُ بالاتفاق مع غبطة مار الياس الحويّك بطريرك الطائفة المارونيّة الجزيل الشرف

ومن مآثر الرهبانيّة الدومنيكيّة قريباً منّا ايضاً مكتبهم الكتابي الشهير في القدس الشريف الذي تخرّج فيه عدّة من ارباب الدين واشتهر رهبانهُ بما نشروهُ من التآليف العلميّة والاثريّة في مجلّتهم الكتابيّة وفي تآليف اخرى متعدّدة. وقد اناطت الحكومة الفرنسويّة بمدرستهم بعد الحرب الكونيّة كلّ الابحاث الاثريّة في فلسطين فكان لهذا الامتياز احسن موقع في قلوب العارفين بفضلهم

ونحن نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت إمام الاحبار الذي نشر بنسبة هذا الذكار المنوي بزاوة اطراً فيها القديس دومينيك واذاع على رؤوس الملأ محاسن بنيهِ الكرام ونطلب من الله ان يزيدهم عدداً وفضلاً

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة كتاب ضخم مكتوب بخطّ جليّ حسن يرتقي الى القرن الثامن عشر وهو مجموع قصص عربيّة قديمة ورد البعض منها في جملة قصص الف ليلة وليلة كقصّة سندباد البحري وحكاية هارون الرشيد وباسم الحدّاد وخبر الملك جليماد . وقد وصف حضرة الاب انطون صالحاني هذا المجموع وصفاً مختصراً في اوّل كتابهِ المشرق «طرائف فكاهات في اربع حكايات» استخرجها منهُ وعني بنشرها لاوّل مرّة سنة ١٨٩٠ ثمّ كرّر طبعها حديثاً في هذا العام

وفي اوّل هذا المجموع قصّةٌ لم تُنشر حتى الآن بالطبع وهي قصّة سليمان الملك ورحلتهِ الجويّة محمولاً على بساطهِ العجيب الى ان بلغ الى قصر عاد بن شدّاد حيث أطلعهُ الجنّ على قبر ذاك الملك العظيم فقرأ ما كُتب عليهِ من الحكم شعراً ونثراً وكلّها تذكّرهُ بزوال الدنيا وبتقوى الله . فهذه الحكاية الشبيهة بقصص الف ليلة وليلة بما يُرى فيها من عجائب اخبار الانس والجنّ والحيوان جديرة بان تُلحق بتلك الفكاهات ولذلك احببنا تدوينها في هذا العدد من مجلّة المشرق ليستفيد من مضامينها الباحثون عن اصل القصص العربيّة

وقد ورد في الجزء الثالث من كتاب الف ليلة وليلة (طلب طبعتنا البيروتيّة ص ٣١٩–

ومن مآثر الرهبانيّة الدومنيكيّة قريباً منّا ايضاً مكتبهم الكتابي الشهير في القدس الشريف الذي تخرّج فيه عدّة من ارباب الدين واشتهر رهبانهُ بما نشروهُ من التآليف العلميّة والاثريّة في مجلّتهم الكتابيّة وفي تآليف اخرى متعدّدة. وقد اناطت الحكومة الفرنسويّة بمدرستهم بعد الحرب الكونيّة كلّ الابحاث الاثريّة في فلسطين فكان لهذا الامتياز احسن موقع في قلوب العارفين بفضلهم

ونحن نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت إمام الاحبار الذي نشر بنسبة هذا الذكار المنوي بزاوة اطراً فيها القديس دومينيك واذاع على رؤوس الملأ محاسن بنيهِ الكرام ونطلب من الله ان يزيدهم عدداً وفضلاً

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة كتاب ضخم مكتوب بخطّ جليّ حسن يرتقي الى القرن الثامن عشر وهو مجموع قصص عربيّة قديمة ورد البعض منها في جملة قصص الف ليلة وليلة كقصّة سندباد البحري وحكاية هارون الرشيد وباسم الحدّاد وخبر الملك جليماد . وقد وصف حضرة الاب انطون صالحاني هذا المجموع وصفاً مختصراً في اوّل كتابهِ المشرق «طرائف فكاهات في اربع حكايات» استخرجها منهُ وعني بنشرها لاوّل مرّة سنة ١٨٩٠ ثمّ كرّر طبعها حديثاً في هذا العام

وفي اوّل هذا المجموع قصّةٌ لم تُنشر حتى الآن بالطبع وهي قصّة سليمان الملك ورحلتهِ الجويّة محمولاً على بساطهِ العجيب الى ان بلغ الى قصر عاد بن شدّاد حيث أطلعهُ الجنّ على قبر ذاك الملك العظيم فقرأ ما كُتب عليهِ من الحكم شعراً ونثراً وكلّها تذكّرهُ بزوال الدنيا وبتقوى الله . فهذه الحكاية الشبيهة بقصص الف ليلة وليلة بما يُرى فيها من عجائب اخبار الانس والجنّ والحيوان جديرة بان تُلحق بتلك الفكاهات ولذلك احببنا تدوينها في هذا العدد من مجلّة المشرق ليستفيد من مضامينها الباحثون عن اصل القصص العربيّة

وقد ورد في الجزء الثالث من كتاب الف ليلة وليلة (طلب طبعتنا البيروتيّة ص ٣١٩–

(٣٥) حكاية لها بعض الشبه بقصتنا هذه نريد بها حكاية القاقم السليمانية التي ارسل المخايفة الاموي عبد الملك بن مروان نائبهُ على مصر موسى بن نصير ليطلبها لهُ في مدينة النحاس . على ان هذا التشابه في بعض اقسام الحكايتين لا يفقد شيئاً من رونق حكايتنا هذه التي لا يُعرف لها نسخة عربية غيرها . وانما نشر منها العلّامة الحاخام جلينك (Jellinek) ترجمة عبرانية في كتابهِ بيت مدراش (ج ٥ ص ٢٢) فلخّصها العالم البلجكي شوفان في كتابهِ المنون

Chauvin : Bibliographie des Ouvrages Arabes , V , 38 - 39

ثمّ انّ بين مخطوطات برلين (ج ٩ . ص . ا ع ٨٩٦٦) قصّة النملة مع سليمان مذكورة في اوّل حكايتنا واعلم انّ هذه الحكاية تبلغ في نسختنا ٣٧ صفحة دللنا عليها في اثنائها . ولغة هذه النسخة بسيطة تركناها على اصلها الّا ما وقع فيها من الاغلاط النحويّة كرفع الفعل ونصب مفعول ممّا لا يجوز بهِ . وكذلك وقع في رواية بعض الابيات الشعريّة اغلاط وخلل في الوزن ممّا شوّههُ النسّاخ فاصلحناهُ على قدر الامكان

(١) نبتدي بعون الله وحسن توفيقه

ونكتب خبر سليمان ابن داود وما جرى لهُ في قصر عاد ابن شدّاد

وهي اخبار لذوي العقول

(قال) انّ الله تعالى اعطى لسليمان المُلك العظيم الذي لا يُحَدّ ولا يوصف ولا يفق لاحد من ملوك الدنيا لا من قبلهِ ولا من بعدهِ . وهذه هي اوصافهُ انّهُ قد سخّر له الله تعالى الانسَ والجنّ والوحوش والطيور والهواء وسائر ما خلق الله تعالى . وقد اعطاهُ الله سريرًا من حرير اخضر طولهُ سبعة فراسخ وعرضهُ كذلك . وكان سليمان يبسط ذلك السرير وينصب كرسيهُ عليهِ ويجمع حولهُ وزراءهُ وعلماءهُ ويجلسون معه فوق ذلك (٢) السرير . وكان يجعل الانس عن يمينه والجنّ عن يساره ويركب الطير وعساكره فوق ذلك البساط وكان يأمر الريح ان يرفع البساط بين السماء والارض . وكان سفره ومرحلته شهرين ورجوعه كذلك . وكان لهُ اربعة وزراء : وزير من الانس اسمه آصاف . ووزير من الجن اسمه الرياط . ووزير من الطيور اسمه العقاب . ووزير من الوحوش وهو الاسد

قال الراوي : فركب سليمان ذات يوم على البساط هو وعسكرهُ . وقد احدقت علماء بني اسرائيل والوحوش من ورائه والطيور من فوق رأسهِ والانس عن يمينهِ

والجن عن شماله . واما ما كان من الطيور فصفّت اجنحتها بعضها على بعض حتى لا تقع عليه حرارة الشمس . ثم انه أمر الريح ان يحمل ذلك البساط فارتفع البساط من فوقه وساروا . وبينما هم سائرون(٢) بين الشمس والارض مرّوا على وادي النمل . فلمّا ابصر النمل انّ سليمان الملك قد اقبل هو عساكره وعلوّ شأنه وعظمته واذا بنملة سوداء كبيرة وهي على صخرة صمّاء تنادي وتقول : « ادخلوا ايها النمل الى بيوتكم لئلّا يدوسكم سليمان وجنوده وما تحيون » . فلما سمع سليمان هذا الكلام أمر ان يُنزّل البساط على الارض . وانفذ سليمان وراء النمل وقال لهم : من هو الذي قال منكم هذا القول ؟ واذا بالنملة قد تقدمت الى سليمان وقالت لهُ : السلام عليك يا نبيّ الله . وسجدت له فقال سليمان : « وعليكِ السلام يا ايتها النملة . فما هو القول الذي قلتِه : ادخلوا الى مساكنكم لئلّا يدوسكم سليمان وجنوده . فكيف انا ادوسكم وانا بين السماء والارض » . فقالت النملة : « نعم يا نبي الله قلتُ هذا القول . واعلم يا نبي الله ان كل راعٍ يسألهُ الله عن رعيته (٣) وانا رعيتي هم هؤلاء النمل في هذا الوادي . فلما اقبلتَ انت وعظم شأنك لأنّ الانس عن يمينك والجن عن شمالك والوحوش من ورائك والطيور فوق رأسك وكان الوقت وقت تسبيح النمل خفتُ ان ينظروا الى عظم شأنك وملكك وسلطانك فيشتغلون عن ذكر الله فيهلكون . وكان يصيبك انت امرٌ من الله فيدخل في قلبي منك عُجب وان العُجب يُهلك الجبابرة » . فتعجب سليمان من كلام النملة وقال : « مسائل كثيرة أُريد اسالكِ ايتها النملة » . فقالت لهُ : « يا نبي الله لستَ انت في موضع تسأل . والسائل اجلّ وأعلى من المسؤول وانت على سرير ملكك وانا على وجه الارض »

فامر سليمان ان يقدموا النملة اليه فقال لها : أسألكِ الآن ايتها النملة ؟ فقالت له : لا . فقال لها : ولماذا ؟ فقالت لهُ : « يا نبي الله انت رجل جليل القدر وعظيم الشأن . وانت خُلقتك اعظم من خلقتي ولو ضربتُ على بعض اذيالك لغاب شخصي (٤) واختفى كلامي » . فتبسّم ضاحكاً وقال : اشكر نعمتك يا سيّدي الذي انعمتَ عليّ بهذا وادخلتني مع عبيدك الصالحين . ثم قال للنملة : ما تريدين ان اصنع معك ؟ فقالت لهُ : « خذني على يدك وارفعني قبالة وجهك . وعند ذلك اسألني ما تريد »

فمدّ سليمان يده واخذ النملة ووضعها في كفه واقامها مقابل وجهه ثم قال لها :

اسألك الآن يا نملة هل سمعت عن الملوك المتقدمين ان احداً قد أُعطي مثلي من الملوك ؟ فقالت لهُ النملة : « وايش قد أُعطيتَ انت ؟ فقال لها سليمان : أن الله قد سخَّر لي الانس والجنّ والطيور والوحوش والهواء وسائر خلائقهِ تعالى . فقالت لهُ النملة : نعم يا نبي الله . وانا قد رأيت من الملوك من هو اكثر منك واكبر منك . فقال لها سليمان الملك : ومن هو ذلك ؟ فقالت لهُ النملة : انا . فقال لها : ويحكِ ايتها النملة وانتِ ايش قد أُعطيتِ من الملك وغيره . وما انتِ ؟ قالت لهُ (٩٣) : « انتَ يا نبي الله قد سخر الله لك جميع مخلوقاتهِ وقد سخرك الله انت لي . حتّى حملتني بيدك ورفعتني قبالة وجهك وصيَّرتني اعلى منك » . فغضب سليمان لمَّا سمع هذا الكلام من النملة . ثم انه ألقاها من يدهِ على الارض . وقال لها : يا نملة هل تعرفين من انا ؟ فقالت لهُ النملة : « نعم اعرف من انت . وانت لولا عناية الله ايش كنت ؟ واعلم يا سليمان ان اوَّلك نطفة مَذِرة وآخرك جيفة قذرة » . فتعجب سليمان من كلام النملة وعجَزهُ الله عن ردّ الجواب لها . فقالت النملة لسليمان : « روح يا سليمان فلا بدَّ ان يجري لك امر حتى يتحدثون به على شارع الطريق » . وانصرفت النملة الى حال سبيلها

ثم ان سليمان امر الريح ان يرفع البساط فرفعهُ وجعل يسير بين السماء والارض . فسار نحو عشرة ايام وعشرة ليالي . وفي اليوم الحادي عشر بينما هم سائرون اشرفوا على قصر عالي (٩٤) البنيان ومشيَّد الاركان شاهق في الهواء لا يكاد يوصف . وهو مبني لبنة من ذهب ولبنة من فضَّة . فلما نظره تعجب من بنيانهِ وامر الريح ان يهبط البساط على الارض واقبل الى وزيرهِ آصاف وقال لهُ : « يا اصاف قد طفت الدنيا مشارقها ومغاربها وبلغتُ ما لم يبلغهُ الاسكندر (١) . ولم أرَ مثل هذا القصر وان قدَّرني الله تعالى فلا بدّ ان اعرف مَن بناهُ ومَن صاحبه ومتولّي عليه »

ثم ان سليمان نزل عن سريرهِ واخذ آصاف وزيرهُ واقبل نحو القصر . فنظر ارضاً زكيَّة التراب بهيَّة الجناب فقال سليمان : يا آصاف ترى الموت حلَّ باهل هذا القصر ؟ فقال اصاف : « يا نبي الله اذهب بنا نحو القصر فانه لا يخلو من ساكن يسكنه حتى نسأله عمَّا نريد » . فاقبلوا نحو القصر ومعهم علماء بني اسرائيل وجعلوا يطوفون حول القصر وهم متعجبون من بنيانهِ ولم يجدوا لهُ باباً ولا مضرباً فقال سليمان : يا آصاف ما

١) معلوم انَّ الاسكندر عاش بعد سليمان بمدة اجيال

أزين (٥) هذا القصر وما احسنهُ . فانهُ ما يخلو من ساكن يسكنهُ

عند ذلك تقدم الى بين يدي سليمان وزير الزرياط قائلاً لهُ : « يا نبي الله مُرني بما شئت . فلا تغتم من امر هذا القصر فاني اجيئُ لك بخبره بالحقيقة » . فقال لهُ سليمان : افعل ما شئت .

ثم ان الزرياط اخذ ثلاثة من العصافير العفاريت . وارتفعوا في الهواء فغابوا ساعة زمانيَّة واتوا وهم مرتعبون مطروحون من الجو ووقفوا بين يدي سليمان . فقال وزيره الزرياط : « وحياتك يا نبي الله اننا صعدنا حتى بلغنا سماء الدنيا واننا اشرفنا على اعلى القصر وأردنا الهبوط عليهِ فكان مانعٌ يمنعنا . وكلَّما اردنا النظر اليهِ كان رادٌ يردُّنا وغشاوة تغشي ابصارنا . فلم نقدر على الدنو منه » . فقال لهم سليمان : هل وجدتم على اعلاه شيئاً من الطيور؟ قالوا : نعم يا نبي الله رأينا على جانب القصر نسراً وافراخه . فقال سليمان : ائتوني بالعقاب (٥) ، فدعوا العقاب فاتى الى عند سليمان . فقال لهُ سليمان : اذهب يا عقاب في طلب النسر

فارتفع العقاب وغاب ساعةً زمانيَّة وعاد ومعهُ نسر عظيم كبير . فلما وقف بين يدي سليمان قال : السلام عليك يا نبيَّ الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام يا ايها النسر ما اسمك ؟ قال لهُ : اسمي الاجير . فقال لهُ سليمان : كم لك من العمر ؟ قال : يا نبيَّ الله لي من العمر سبعمائة سنة وفي هذا القصر صرتُ . فقال لهُ سليمان : يا نسر هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيه حسيساً ؟ فقال : لا وحياتك يانبيَّ الله لكن النسر الذي في البرج الآخر هو اكبر مني وافضل مني ذهناً وعقلاً فادعُ بهِ اليك فانهُ لا يخلو علمهُ من ذاك . فقال سليمان للعقاب ائتني بهِ . فارتفع العقاب والنسر وجاءا معهما بنسر عظيم اكبر من الاول فوقف بين يدي سليمان فقال لهُ : السلام عليك (٥) يا نبي الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام ايها النسر ما اسمك؟ قال لهُ : اسمي الاهيف . فقال لهُ سليمان : كم لك في هذا القصر؟ فقال : فيهِ صرتُ . ثم قال لهُ : كم لك من العمر ؟ فقال : تسعمائة سنة . فقال لهُ سليمان : هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيهِ حسيساً ؟ فقال النسر : لا وحياتك يا نبي الله . لكن النسر الذي في البرج الآخر اكبر مني سنًّا وافضل مني عقلاً وذهناً . فأحضرهُ اليك فانه لا يخلو علمه من ذلك . فقال سليمان للعقاب : ائتني بهِ .

فارتفع العقاب والنسران في الجوّ وغابوا ساعة زمانيّة . واتوا ومعهم نسر عظيم اكبر من الاوّلين . وقد حملوه على اجنحتهم من كبره وقد انتفض ريشهُ وبقي مثل النرخ الذي ليس لهُ ريش . فلما وقف بين يدي سليمان قال : السلام عليك يا نبي الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام يا ابا النسورة . ما اسمك ؟ فقال : اسمي للعلم . فقال لهُ سليمان : كم لك من العمر ؟ قال لهُ : لي (٦٧) من العمر الف وخمسمائة سنة . قال لهُ سليمان : كم لك في هذا القصر ؟ قال لهُ النسر : يا نبي الله اتيتُ لهذا القصر في اعشاب شبابي . وانا لي الآن مقيم في القصر الف ومائتي سنة . قال له : يا ابا النسورة هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيهِ حسيساً او تعرف له باباً ؟ فقال : « نعم يا نبي الله انا اعرف لهُ باباً عظيماً بمصراع من الذهب الاحمر ومصراع من الحديد الصافي وعليهِ قفل من ذهب الاحمر ولهُ عن ايسار الباب خندق وعلى جانبهِ حوض من رخام ابيض مكتوب ابيات شعر لطيفة . ولكن يا نبيّ الله لي في هذا القصر دهر طويل وكلما اريد النظر اليهِ كأنَّ رادًا يردّني وغشاوة تغشّي بصري . لكن كنت اسمع فيهِ جلبة وضجيجاً » . فقال سليمان : « يا ايها النسر انا متعجب من وصفك لانك تقول ان له باباً ومصراعاً . وانا قد طفتُ حولهُ (٦٨) فما وجدت لهُ باباً ولا طريقاً » . فقال لهُ النسر : « يا نبي الله ذلك من كثرة ما مرّت عليهِ الايام والرياح والزوابع فطمّت الباب واختفى فان اردت ان يظهر لك ذلك فمُر الريح ان تهبّ في القصر ولا تؤذي بهِ شيئاً بل تكشف لك حيطانهُ وبابه فتنظر ما ذكرتهُ لك

فعند ذلك امر سليمان الريح فخرج منها مقدار منكار ثور ؟ . ثم هبت فقلعت الارض وكشفت الباب والطريق . فنظر سليمان باباً عظيماً بمصراع من ذهب الاحمر تغيّر لونهُ فصار مثل الرغيف المحروق من طول الايام والدهور والازمان . وعلى الباب قفل الذهب الاحمر

قال الراوي : فنظر سليمان واذا على الباب شُرفةٌ بلون الحجر الازرق ومجرى عليها بالذهب الاحمر وقد كشفت الريح القصر وبنيتهُ وكان فيهِ شيءٌ يحيّر العقول . وظهر الخندق الذي على يسار الباب . فحينئذٍ دعا سليمان النسورة وصرفهم الى حال (٦٧) سبيلهم ثم تقدّم الى الباب ومعهُ علماء بني اسرائيل وعظماؤهم وملوك الجن وساداتهم والتفت الى وزيرهِ آصاف وقال لهُ : يا اصاف ليت شعري من كان صاحب

هذا القصر ومَنْ بناهُ ؟ فما هذا الامر الأعجبَ . يا هل ترى ايش عمل الزمان فيهم . وياترى اين الذي عمّره ؟

وفيما هو يتكلّم بهذا الكلام واذا به رأى ابياتَ شعر مكتوبة بالفَهلوي (١ فلم يعرف سليمان يقرأها فدعا علماء بني اسرائيل فقرأوها . وهي هذه الابيات من الشعر اللطيف :

آثارُهم بعدم حقٌّ وما صنعوا ... وأخبرونا بأنّا لهمْ تَبَعُ
يا واقفاً بازاء القصر مرتجياً ... اخبار قومٍ وعن املاكهم تزعوا
فادخل لقصرٍ اذا ما ترتجي خبراً ... عن سادةٍ في الثرى باصاحِ قد وُضعوا
كانوا جميعاً فجاء الموت فرّقهم ... وخلّفوا لسواهم كلَّ ما جمعوا
فإنْ تسألتهمُ يوماً فكأنهمُ ... ماعاينوا الارضَ في عيش ولا سمعوا
ولا جرى بينهم يوماً مؤانسةٌ ... لا كان فيهم ضراءٌ لا ولا نفعوا
(8r) كانوا كباراً فحُلّوا من مراتبهم ... وحالهم ظاهراً سقطٌ وما ارتفعوا

قال الراوي : فتعجب سليمان من ذلك ثم تقدم نحو الخندق واذا على جانبه حوض من الرخام الازرق طولهُ عشرون ذراعاً وفي ذلك الحوض الف حجلة تاوح مثل بيض الغمام من كثرة ما مرّت عليها السيول والامطار . وهي كأنها ناظرة الى نحوهم ومشيرة اليهم . فقال سليمان لآصاف وزيره : يا ترى اين هو الابيض من الاسود ام الحرّ من العبد ام الذكر من الانثى ام الشيخ من الشاب ؟ فما أتمّ سليمان كلامهُ والّا وقد ماجت تلك الحجاجم مع بعضها بعض وأذن لها ملّاكها بالكلام . فعند ذلك لما نظر سليمان هذا الامر . قال ما هذا الّا امرٌ عجب وقدرهُ عظيم . واذا هو بلوح عند رأس الحوض موضوع على عامود حديد ومكتوب عليه اربعة سطور باليوناني . وهذا معناها (8v) :

نزلنا هنا ونحن الملوك ولنا الجاهُ ... قتلنا الجوع بشيءٍ ليس طننا هُ
سكنا بحسي القصر زماناً ملكناهُ ... بدلنا الدرَّ بالخبز فما وجدناهُ
فاسأل الدهر عن القصر من بناهُ ... سكناً فيه زماناً كثيراً نزلناهُ
فمن يغترّ بالدنيا يجمع مالاً لا يحناهُ ... فيذهي عاقبتهُ وذلك قد شرحناهُ

قال الراوي : عند ذلك بكى سليمان لمّا قرأ هذه السطور . ثم انه عاد الى الباب

١) الفهلوي اللغة الفارسيّة القديمة

وقال لوزيره آصاف: ادخل بنا نحو القصر حتى ننظر عجائبه . فاذا كان هذا ظاهر القصر وخارجه فكيف يكون من داخله ؟ فوقفوا جميعاً على باب القصر . فتقدم سليمان الى الباب ليفتحه . واذا مكتوب عليه اربعة سطور باليوناني وهي هذه الابيات :

يا طالباً صفو عيش كلُّهُ كدرُ ... افنيت عمرك لهواً ماذا تنتظرُ
ماذا تردُّ جواباً عن مساوئهِ ... والذنبُ يربو عليه الرمل والمطرُ
وقد حملت ذنوباً لو تحمَّلها ... صمُّ الشواهق لم يُعرف لها اثرُ
فحذِّر النفسَ قبل الموت تزجرُها ... عن المعاصي عسى ان ينفع الحذرُ

قال الراوي: واذا على يسار الباب مكتوب يقول: «لا يدخل (٧٩) هذا القصر الا ملك او نبي فاذا اراد الدخول اليه يحفر عند يمين الباب وينزل اربعين درجة فيجد تابوتاً من رخام . فيكسر ذلك التابوت ويُخرج منه المفاتيح ويفتح الباب . ويدخل القصر فيرى فيه عجائب كثيرة وفي وسطه بركةٌ من الياقوت والجوهر ويرى فيه الزمرّد الاخضر . ويرى فيه قبّةً لها اربعة ابواب . فيعدّ ثلاثين آية ويجتهد الّا يغلط في العدد فيرى عقرباً من نحاس وفراشهُ من اللؤلؤ الابيض . ثم انه يعدّ احدى وعشرين آية فيجد عقرباً من فضّة فيفرك ذلك العقرب فينفتح قدامهُ باب فينحدر تحت الارض في سرداب ويسير في مكانٍ واسع جدًّا . فيرى هناك قبرًا واسماً طولهُ خمسون ذراعاً وعند القبر صنم مرصّع بالزمرّد والجوهر وعيناهُ من الياقوت الاحمر وقوائمهُ من الزمرُّد الاخضر . وفيه مكتوب حديث هذا القصر ومَنْ أنشأهُ »

فلما وقف سليمان على (٧٩) هذا القصر والقاصير وقرأ ذلك المكتوب أمر خدامه ان يحفروا عن يسار الباب فحفروا واذا قد ظهر تابوتٌ من رخام فكسروا ذلك التابوت فوجدوا فيه المفاتيح . فاخذها سليمان وفتح الباب فدخل هو ودخل معهُ وزراؤهُ وعلماء بني اسرائيل واقبل يميناً يتمشى في الدهليز . ثم انهُ التفت الى الحائط داخل الدهليز واذا مكتوبٌ عليه هذا الابيات :

قد كان صاحب هذا القصر في دَعَةٍ ... مَلِكاً عزيزاً تخاف الناس من باسهِ
فبينما هو مشغولٌ بنعمتهِ ... في مجلس اللهو مسرورٌ بملّاسهِ
واتاهُ امرُ قضاء لا مردَّ لهُ ... فارتدَّ ميتاً وزال التاج عن راسهِ
يا داخل القصر ابصر في محاسنهِ ... قد صار قفرًا فهو يبكي على تاسهِ

قال الراوي : ففتح سليمان الباب واذا وراء الباب دهليز معتم . فدخل اليه ومشى فيه . فوصل الى الباب من ورائه واراد ان يفتحه فرأى عليه مكتوباً هذه الابيات (١) (١٥٢) :

المال بعدك الوراث تجمعه ... بعد انصرافك من دار الى دار
وما سمحت بما خلفته كرماً ... لولا المنون وحكم منه بالوري جاري
قد ضاع ما كنت مسروراً برؤيته ... تحمي حماك بنصل الصارم الصاري
لا تستقر ولا تسخو بخردلة ... شحاً عليه ولو ألقيت في النار
حتى رميت بأقدار مقدرة ... من الاله العظيم الواحد الباري
ولا الجنود التي جمعتها نفعت ... ولا فداك صديق من جرى العار
فجاءك الموت مختوماً على عجل ... ليس اليدفعه ملك بأموال
حتى اذا صارت الاكياس وافرة ... وانت تتبع استاراً بأستار
عادت لنبرك قبل الصبح كاملة ... وقد اتوك بحمال وحفار
ويوم عرضك تلقى الرب منفرداً ... بحمل اثم واجرام وأوزار
فلا تغرنك الدنيا وزينتها ... وانظر الى فعلها بالاهل والجار

قال الراوي : عند ذلك بكى سليمان بكاء شديداً لما سمع هذه الابيات ثم انه فتح الباب ودخل الى القصر فرآه مليح البناء وفيه قبة وقبب ومقاصير وفيه اجساد قد اكلها (١٥٢) التراب وهي مملوءة ياقوت وجواهر وفيه من الاموال شيء كثير لا يُعَدّ ولا يوصف . فلما عاين سليمان ذلك سبح الله تعالى وقال : تبارك الله العظيم ثم انه تقدم قليلاً قليلاً واذا هو بصورة كأنها لؤلؤة بيضاء فتعجب من حسنها وعليها مكتوب هذا البيت شعر لطيف

هذي منازل اقوام وقد رحلوا ... فخالٍ مُلْكٍ وقاهم شرّ عدوان

قال الراوي : فتقدم سليمان الى المقصورة واذا فيها بركة عظيمة من الذهب الاحمر وفيها دقيق صافي البياض فقال لوزيره : يا آصف ما ترى هذا الدقيق وما اشد بياضه فكيف كان اهل هذا القصر يشكون من الجوع ومن قلة الزاد . فقال آصف : يا نبي الله ليس هذا زاداً لكنه ياقوت وجواهر طحنتها معارك الجبابرة فما سدت لهم من جوع ولا قامت لهم مقام الزاد

(١) هذه الابيات وردت بروايات مختلفة في الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٣٦

فتعجب سليمان الملك وقال: سبحان (١١٣) الله العجيب ما اعجب هذا القصر وما احسنهُ . ثمَّ انهُ تقدَّم الى داخل القصر واذا هو بقبَّة لم يرَ الناظرون مثلها وهي من الزمرُّد الاخضر ولها اربعة ابواب فتقدَّم الى الباب الاوَّل واذا مكتوبٌ عليهِ هذه الابيات :

أيا ابن آدمَ لا يغرَّنك الامل ... يقضي عليك الذي لملتهُ الاجل
اراك ترفع للبنيان مجتهدًا ... وقد بنى قبلك الاسلافُ والأوَّلُ
ماتوا فما انتفعوا بكل ما عملوا ... وخلَّفوا المال والاملاك وارتحلوا

قال الراوي: ثمَّ تقدَّم سليمان الملك الى الباب الرابع ليفتحهُ وكان عليهِ سترٌ مسبول وهو منسوج باللؤلؤ والياقوت واذا مكتوب عليهِ هذه الابيات :

تزوَّدْ من الدنيا قليلًا بما يبقى ... ودعْ ما مضى قبلًا لتحظى بما تلقى
فاني ملكتُ الملك والخلق والورى ... افرَّقهم غربًا وابعثهم شرقا
اتاني رسولُ الموت فورًا بسرعة ... واصبحتُ رهنًا في القبور بما أتى
(١١٤) وحيدًا فريدًا بالتراب بذلَّة ... ويرعى بجسمي الدود يعرقهُ عرقا

فرفع سليمان الستر ودخل الى القبَّة فرأى فيها سريرًا طولهُ خمسون ذراعًا وعليهِ من انواع الياقوت الاحمر وفرشهُ من الديباج الحسن المنظر . فرفع سليمان السرير فصار في يدهِ قطعًا قطعًا من كثرة السنين والاعوام وعاين عند رأس السرير لوحًا من الزمرُّد الاخضر كُتبت عليهِ هذه الابيات :

انظر الى معشر باتوا على دعَة ... واصبحوا في الثرى رهنًا بما عملوا (١)
اين الملوك ملوك الارض قاطبةً ... اما دعا دمُ اللذَّات فارتحلوا
باتوا على قرَّة الحرَّاس تحرسهم ... غابوا وذلُّوا ولم تنفعهُمُ الحيَلُ
وأستُنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفرًا يا بئس ما نزلوا
دعا بهم صارخٌ من بعد عزِّهم ... اين الاسرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ
اين الوجوهُ التي كانت منعَّمةً ... من دونها تُضرب الاستار والكُلَلُ
فأفصح القبر عنهم ثمَّ جاوبني ... تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقتتلُ

(لهُ تابع)

---

(١) تجد بعض ابيات هذه القطعة في القصيدة اللاميَّة المنسوبة الى علي بن ابي طالب راجع غيرهِ ايضًا (اطلب مجاني الادب ج ٣ ص ٢٧-٢٩)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوّل الاسلام (تابع)

٣ العادات الشرعية والاجتماعية

﴿الحَلِف﴾ قد اعتاد العرب على القَسَم بالله وبما يقرب اليه كالملائكة والاولياء. قال عبيد بن الابرص (ديوانه):

حلفتُ بالله انّ الله ذو نَعَم لمن يشاء وذو عفو وتَصفاح

وقال الآخر (امالي القالي ٣: ٢٩)

إنّا والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ ومن هو يحيي العظم وهو رميمُ
لقد كنتُ اطوي البطنَ والزادُ يُشتهى محافظةً من ان يقالَ لئيمُ

وكانوا في الجاهليّة يحلفون باصنامهم كاللات والعزّى ونَسر. ثمّ شاع ذلك بينهم حتّى النصارى واليهود دون اشارة الى معتقدهم بها كما يقال باللاتينيّة حتّى في عهدنا بحق هركل (me hercle) او بالايطاليّة بحق بخُوس (per Bacco) فكذلك نصارى العرب حلفوا باصنام الجاهليّة وبالانصاب على سبيل العادة ليس عن اعتقاد دينيّ. فمن ذلك قول عبد المسيح المتلمّس يهجو عَمرَ بن المنذر:

أطردتني حَذَرَ الهجاء ولا واللاتِ والانصاب لا تَئِلُ

ويروى: والله. ومثلهُ مهلهل التغلبيّ حلف بالانصاب:

كلّا وانصابٍ لنا عاديّةٍ معبودةٍ قد قُعِّدَتْ تَقطيعا

وحلف اوس بن حجر باللات والعزّى فقال :

وباللات والعُزّى ومن دان دينها وبالله انّ الله منهنّ اعظم

وحلف الاخطل بالعزّى وبنَسْر وما يُضَحّى عليهما من الضحايا :

اما ودماء مائرات تمالُها على قُنَّةِ العزّى وبالنَّسْر عَنْدَما

وذكر له في الاغاني (٧ : ١٧٣) حلفاً قالهُ افتخاراً على جرير والفرزدق : « انا واللات اشعرُ منهما » فاردف الراوي قائلاً : « حلف باللات هزواً واستخفافاً بدينه » (قلنا) بل حلف بها جرياً على عادة العرب دون حمله ذاك الحلف على الدين مع ما نعلمهُ من تشبُّث الاخطل بدينه حتّى في مجالس الخلفاء . ومما حلف به مشيراً الى دينه ما رواهُ ايضاً ابو الفرج في الاغاني (في الصفحة المذكورة :) "وحقّ الصليب" . « وحقّ الصليب والقربان » وروى لهُ في محلّ آخر (٨ : ٨٥) : « قدُّوس قدُّوس .. وحقّ الصليب » وقد ذكر له في نقائض جرير والفرزدق حلفاً بالمسيح

وكذلك لم يأنف النصارى عن الحلف بمكّة ومناسك الحجّ (اطلب ديوان الاخطل ص ١٠٠ وشرح متني اللبيب للشيخ محمّد الامير (١ : ٢١٠) قال:

اني حلفتُ برب الراقصات وما أضحى بمكّة من حُجب وأستار
وبالهدايا التي احمرّت مذارعُها في يوم نسك وتشريك وتنحار
وما يزمزم من شُطّ محلّقة وما يثوبَ من عونٍ وأبكار
لأجبأتني قريشٌ خائفاً وَجلا وولّتني قريشٌ بعد إعسار

وحلف الآخر بالكعبة وبإله اسرائيل (الامالي القالي ٢ : ٤٦) :

قُلْتُ وكنتُ وجلاً فعلينا هذا وربّ البيت اسرائينا

وقد جمع عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ الشهير في حلفهِ بين مكة والصليب (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سمي الاعداء لا يسألون شرّا عليك وربّ مكّةَ والصليب

ومثلهُ الاعشى حلف بأسكيم الرهبان وبالكعبة :

حلفتُ بثوبَيْ راهبٍ الدير والتي بناها قُصيٌّ والمضاض بن جرهم

وورد في الاغاني (١٢ : ٧٥) لعبد الرحمان بن الحكم بن ابي العاص :

حلفتُ برب مكّةَ والمصلّى وبالتوراة احلفُ والقرآنِ

وهو القائل ايضاً (اصلاح المنطق ص ٢٢٤) :

وإني وربّ الساجدين عشيّةً وما صكّ ناقوس النصارى ايلُها
أصالحكم حتى تبرّؤا بخُلتها كصرخة حُبلى اسلمتها قبيلُها

ومما لا شبهة فيه عن ايمانهم بالمسيح قول عمر بن عبد الحقّ :

وما قدّس الرهبان في كلّ بيعةٍ ايل الايلين المسيح بن مريما

قال في اللسان (١٣ : ٦٠) : وكانوا يعظمون الابيل ويحلفون به وحلف عديّ ابن زيد بالقربان ودعاهُ الشَّبر (اصلاح المنطق ١٦٩)

اذ اتاني خبرٌ من مُنْعِمٍ لم أَخُنْهُ والذي اعطى الشَبَرْ

﴿ الختانة ﴾ معلومٌ انّهُ لا ذكر للختانة مطلقاً في القرآن وانّما يجري عليها المسلمون بموجب السنّة والتقليد . والشائع بين الكتبة المحدثين انّ العرب قبل الاسلام كانوا يختتنون . وفي زعمهم هذا نظر فانّ لنا عدّة شواهد تثبت ان كثيرين من العرب لم يألفوا الختانة ومن المحتمل انّ النصرانيّة ابطلتها بينهم . روى صاحب الاغاني لحاجب يزيد بن المهلّب ابياتاً في هجو اليمن ومما ينسبهُ اليهم انهم غُرْل غير مختتنين قال (١٣ : ٥١) :

فلَلزنجُ خيرٌ حين تنسب والدًا من أبناء قحطانَ الغشاشةِ الغُرْلِ

وجاء في التاج (٢ : ٣٢٤) بيت للفرزدق عن آل حوران غير المختتنين . وكذلك هجا حريث بن عنّاب بني نُمَير ودعاهم بالثُلَف (اغاني ١٣ : ١٠٣) . ومما ورد في نقائض جرير والفرزدق (ص ٦٦٩) انّ بني عامر يوم شعب جبلة قتلوا ثمانين غلاماً أغرل . وفي امالي القالي (٣ : ١٦) ما يثبت رأينا قال : « روى الاصمعيّ عن سَلْم بن قتيبة قال : كانت اياد تَرِدُ الماء فيُرَى منها مائتا شاب على مائتي فرس بشيّةٍ واحدة وكانوا أَعدَّ العرب وانهم استقلّوا بعشرين الف غلام أغرل فاوغلوا حتّى وقعوا ببلاد الروم »

وقد ذكر ابن الاثير في تاريخهِ في وصف أيّام العرب انّه كان ٦٠،٠٠٠ منهم غُلفاً دون ختانة . فلا شكّ انّ النصرانيّة بانتشارها في جزيرة العرب قبل الاسلام كانت ابطلت تلك السنّة بين كثير من القبائل

﴿الحجاب﴾ قد فرض الشرع الاسلاميّ التحجُّب على نساء المسلمين. وليس المسلمون اوّل من سبقوا الى الامر به. فانّ الامم القديمة كانت تحجب الفتيات الى عهد زواجهنّ فاذا تزوّجن أسفرنَ عن وجوههنّ. ولنا على ذلك شواهد في سِفر التكوين (٢٤: ٦٥ و ٣٨: ١٤). وقد ورد مثل ذلك في الآثار الاشوريّة والرومانيّة وغيرها. وكذلك الكنيسة لم تزل توصي النساء بالحشمة وتغطية رؤوسهنّ ولاسيّما وقت الصلاة في الكنيسة (١ كور ١١: ٣ — ١٧)

على انّ صاحب الشريعة الاسلاميّة عمّم ذلك وفرض به على جميع النساء مطلقاً ناهياً عن سفور وجوههنّ الّا باذاء اقاربهنّ الادنين. وهذه سنّتهم الى يومنا الّا من تقلّدوا الآداب العصريّة وتثاروا باسم الغرب فيعتبرون الحجاب مضرّاً بتربية الاناث مانعاً لترقية جنسهنّ باخساً من قدرهنّ

وما لا شكّ فيه انّ عرب البادية لا يحجبون نساءهم تلك عادةٌ جروا عليها منذ القديم. وما القناع والنصيف والخمار الّا كسية كانت نساؤهم يسترنّ بها رؤوسهنّ دون الوجوه وعلى الاقلّ دون العيون كما ترى في وصاوص المصريّات. وفي الشعر الجاهليّ ما يؤيّد زعمنا قال المثقّب العبديّ (المفضّليات ص ٥٧٩):

أرَيْنَ محاسناً وكَنَنَّ أخرى من الأجياد والبَشَرِ المصونِ

وورد هناك بين الشروح عن منجول البراقع: « لا يلبس منجولَ البراقع الّا الحسانُ لأنهنّ يحبّبْنَ أن تُرى وجوههنّ منها لحسنها والقباحُ تلبس الوصاوص لشيقها حتّى لا تُرى وجوهها لقبحها. وقال عمر بن ابي ربيعة (المفضّليات ص٢٥٩):

ولمّا توافقنا وسَفَرْنَ ابتلَيْتُ وجوهٌ زَهاها الحسنُ ان تتقنّعا

وروى في الحماسة (ص٥٥٣): « ولما تفاوضنا الحديث واسفرت». قال: « وهكذا كانت نساء العرب تفعل اذا كانت جميلة » بل نبذتٍ كثير من نساء الاسلام الحجاب كما روى المؤرخون. اخبر الصغدي في شرح لاميّة العجم (١: ٦٨): « كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشيء فلمّا دخل بها مُصعب ابن الزبير كلّمها في ذلك فقالت: انّ الله عزّ وجلّ قد وسّمني بوسم جمال فأحببتُ ان يراهُ الناس والله ما فيّ وصمةٌ استترُ لها »

وقد ذكر صاحب الاغاني (١٠: ١٢٨) انّ الخليفة المأمون كان يخرج الى الشمّاسيّة

ليتزوّه بعد قدومه من خراسان . ثمّ اخبر ان ابراهيم الموصلي دخل اليه ، وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدن »

﴿ الردافة ﴾ هي من العادات التي اتخذها العرب من الامم النصرانيّة المجاورة لهم وهي كالوزارة شاعت عند ملوك الحيرة وملوك غسّان النصارى . (قال في التاج ٦ : ١١٥) : كانت الردافة في الجاهليّة لبني يربوع لانهُ لم يكن في العرب احد اكثر غارة على ملوك الحيرة من بني يربوع فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفّوا عن اهل العراق الغارة . . . قال جرير وهو من بني يربوع :

ربّعنا واردفنا الملوكَ فظلّلوا وطاب الاجاليب الهمامَ المترّعا

وقال المبرّد (الكامل ٧٦٣) : « للردافة موضعان احدهما ان يردفهُ الملوك دوابّهم في صيد والآخر ان يخلف الملك اذا قام عن مجلسهِ فينظر من امر الناس » (قال) كان الملك يردف خلفهُ رجلاً شريفاً وكانوا يركبون الابل وارداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بامر المملكة بمنزلة الوزراء في الاسلام واحدهم رِدْف والاسم الردافة كالوزارة » . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٥١٨) في مادّة طِخْفة اليوم المنسوب الى هذا المكان بين بني يربوع وجيش ملك الحيرة لمّا اراد بعد موت ردفهِ عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ان ينقل الردافة الى غيرهم فأبت بنو يربوع ذلك ورحلت فنزلت طخفة وبعث الملك اليهم جيشاً فيهِ قابوس ابنهُ وابن لهُ آخر وحسّان اخوهُ فانتصر عليهم بنو يربوع وبقيت الردافة فيهم

﴿ العمامة ﴾ تُنعَت العمامة عند العرب بتاجهم . وقد وصفها ابو الاسود الدولي بقولهِ : العمامة جُنّة في الحرب ومكنةٌ من الحرّ ومدفأةٌ من القرّ ووقار في النوادي وزيارة في القامة وهي تُعَدّ من ميزة سادة العرب : قالت الخنساء في اخيها :

فارسُ الحرب والمعمَّم فيها مدرهُ الحرب حين تاتي نشاحا

وقد شاعت العمامة خصوصاً بين نصارى اليمن والعراق : ومما يروي صاحب الاغاني عن خبر اساقفة نجران مع نبيّ الاسلام انهم كانوا « من السادة المعمّمين » وترى الى يومنا العمامة من مميّزات كهنة واساقفة وبطاركة الكلدان في العراق وجهات ما بين النهرين

(لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

An arabic History of Gujarat, by 'Abdallah Muhammad bin 'Omar Al-Makki Al-Asafi Ulughkhani, ed. by E. Denison Ross Ph. D. *Vol. II, J. Murray*, 1921, *XXXVIII*-٨٥٢-٣٩١

القسم الثاني من تاريخ كجرات لعبدالله محمد بن عمر المكي الاصفي الفخاني

سبق لنا ذكر الدفتر الاوّل من هذا الكتاب الفريد المعروف بظفر الواله بظفر وآله (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) يشتمل على تاريخ كجرات احدى معاملات الهند والملوك الذين حكموا عليها . وهذا المجلّد الثاني يحتوي تتمّة الدفتر الاوّل ويبتدئ بتاريخ السلطان ابي الفتح احمد شاه ويمتدّ من السنة ٩٢١ الى ٩٨١ ويليه الجزء الاوّل من الدفتر الثاني مدارهُ على بقيّة اخبار كجرات وامرائها . ولهذا التاريخ شأن كبير لندرة المعلومات من اخبار الدول الاسلاميّة في الهند . وقد بيّن جناب الناشر لهذا الكتاب الفريد في مقدّمته الانكليزيّة خواصّهُ والاصول التي اخذ عنها مؤلفهُ وقابل بينهُ وبين ما يُعرف من اخبار تلك الانحاء الهنديّة مع ما يُستخلص من الكتاب من اخبار مؤلفهِ ولاسيّما انّ النسخة فريدة مكتوبة بقلمه فنشكر السر دنيسون روس الذي احياهذا الاثر الجليل ونتمنّى ان ينجز قريباً ما بقي منهُ ونخصّ كلّ محبّي تاريخ الهند الاسلامية على اقتنائهِ ل . ش

Mylès (Henri) : La fin de Stamboul.. Essai sur le monde turc., 1 *vol, in*-16. *Editions E. Sansot. Paris. s. d., Prix* 6 fr.

خاتمة الاستانة

لم يقصد واضع هذا الكتاب الانتصار للترك او للعناصر المادية لهم من يونان او بلغار وانّما رأى ما آلت اليهِ احوال الاستانة حاضراً وتضعضُع امورها فلم يشأ ان تُفقَد تلك المشاهد التي كانت تقرّ لها عينهُ قبل الحرب فاراد ان يحييها بقلمهِ فيصفها وصفاً حيّاً كما عاينها فتراهُ يذكر في عدّة فصول قصيرة عادات تلك العاصمة التركيّة في كلّ طبقاتها من وزراء واعيان وعمّال وصنّاع فينقل كلامهم ويروي حكاياتهم ويصوّر كلّ احوالهم تصويراً مبهجاً . ومما دوّنهُ هناك ميل عموم الاتراك

الى الفرنسويين حتّى في ايام الحرب وكيف ثبتت مدرسة غلطه سراي على خطّتها الفرنسويّة في التعليم رغماً عن مساعي الالمان في تحويلها الى خطّة تعليمهم الوطني

ج. ل .

LA FOI DE NOS PÈRES, par S. Em. le Cardinal Gibbons, traduit de l'anglais par l'abbé A. Saurel. *Paris, P. Téqui, 82 rue Bonaparte XIII-474, in-12, 1921*

ايمان اجدادنا

هذا الكتاب البديع لفقيد الكنيسة الجليل نيافة الكردينال جبُونس رئيس اساقفة بلتيمور وضعهُ بالانكليزيّة فراج اي رواج حتى بلغ طبعتهُ الثامنة والعشرين. فطلب الكاهن سُورل من المؤلف الرخصة بترجمتهِ الى الفرنسويّة وفي يدنا منهُ الطبعة الرابعة. ولا غرو ان شاع الكتاب هذا الشيوع وقد ضمّنهُ صاحبهُ الدفاع عن اخصّ العقائد الكاثوليكيّة لاسيّما الحقائق التي ينفيها البروتستانت كعصمة الحبر الاعظم في امور الدين وكتساهل الكنيسة الكاثوليكيّة في تدبيرها وسياستها على خلاف كثير من الشيع البروتستانت وكمسألة الاقرار بالخطايا في سرّ التوبة. وقد اوضح المؤلف كل ذلك ببراهين قاطعة قريبة المنال وبكلام يسيل عذوبةً ولطفاً. والترجمة الفرنساوية مضبوطة تكاد تحاكي الاصل رقّةً وانسجاماً

الاب بطرس كسنتاكس

Roger Lambelin : LE RÈGNE D'ISRAËL CHEZ LES ANGLO-SAXONS Paris, B. Grasset, in-12. pp. 270 Prix. 6 F, 75

ملك اسرائيل في العنصر الانكليزي السكسوني

المسيو لمبلان احد الذين تعمّقوا في درس احوال اليهود ونفوذهم ودسائسهم وكثيراً ما نشر في المجلّات الاوربيّة المقالات الشائقة المبنيّة على قرارات اليهود انفسهم واثبت ما يتهدّد اوربّة من الاخطار بترقّي العنصر اليهودي. والكتاب الذي نحن في صدده قد خصّهُ الكاتب البارع بالامم الانكليزيّة في اوربّة وفي اميركة فيثبت انّ اليهود قد كادوا اليوم يمدُّون على العالم سيطرتهم بواسطة تلك الامم فتراهم حيثما يزداد النفوذ الانكليزي تزداد ايضاً شركة بني اسرائيل. ولنا على ذلك شاهد قريب منّا بالحركة الصهيونيّة في فلسطين. وخلاصة هذا الكتاب مدوّنة في كلمة قالها احد

كتبة اليهود المسيو سُمبارت انّ الحرب الكونيّة الاخيرة فتحت باباً واسعاً لأمّته لتسود على العالم ولا شكّ انّهُ كان لها في اعلانها الحظّ الوفيّ وختم ذلك بقوله (ص ٢٧): « انّ الحروب والثورات والفقر هي لليهود ايّام حصادهم !! » . ثمّ استقرى المؤلف الحوادث التي جرت بعد الحرب فتتبّع في كلّ منها الحركة اليهوديّة بحيث لم يُبقِ شكّاً في القضيّة التي اراد تأييدها انّ العالم اليوم آلة في يد اليهود وذلك خصوصاً بواسطة العناصر الانكليزيّة السكسونيّة . فنحضّ قرّاءنا على تصفّح هذا الكتاب ليدركوا اسرار السياسة الحاضرة ب . ك

Alb. Monniot: Le Crime rituel chez les Juifs. Paris. P.Téqui, 1914, pp. 370, in-12, Prix. 3f. 50

الضحيّة الطقسيّة عند اليهود

انّ الذين وقفوا في بلادنا على قتل اليهود للاب توما الكبوشي ولهنري عبد النور ولحوادث اخرى عديدة جرت في حلب واللاذقيّة والاسكندريّة لا يشكّون في ما اعتادهُ الموسويّون من سفك دم النصارى ليمزجوهُ بفطائرهم الفصحيّة وقد جمع صاحب هذا الكتاب الدلائل العديدة لاثبات هذه القضيّة التي طالما انكرها بنو اسرائيل وصرفوا القناطير المقنطرة ليمحوا اثرها من تاريخ الشعوب ولاسيّما بواسطة الصحافة التي كثّروا افواهها بالرشوة . على انّ صوت الحقّ يُفحم كلّ هؤلاء المتشدّقين ويُسيم اليهود بسمة من العار لا تطمسها الدهور . فنهنّي المسيو مونيو لكشفه الستار عن هذه الحقيقة بما لا يُحصى من الشواهد بينها الاقراراتُ الرسميّة في المحاكم الشرعيّة

ل . ش .

E. Rabaud: Eléments de Biologie Générale 1 *vol.*, *in*-8, *Paris, Alcan, Prix,* 15f.

اصول علم الحياة العموميّ

علم الحياة علم مستحدث لم يتّفق العلماء حتّى الآن على تحديد اصوله وبيان خواصّهِ كما يقرّ بذلك مؤلف هذا الكتاب لأنّ مرجعهُ الى مراقبة الطبيعة واعمالها وتعليل ظواهرها وكثيراً ما يفضّل العلماء الطبيعيّون نظرهم الشخصي على الوضعيّات . وهذا ما بيّنهُ المسيو رابو في مقدّمات كتابهِ . وكأنهُ نسي بعد ذلك هذه المبادي لمّا

اراد ان يبيّن اصل الحياة فانّهُ يجنح الى تعليم المـاديّين ويزعم انّ الحياة تولّدت من مجموع عناصر كيـويّة دون توسّط عـامل يفوق الطبيعـة . وهو قول لا يـستندُ الى برهان ويـستنتجهُ من مقدّمات غير صائبة ومن زعمه بانـهُ لا يوجد فرقٌ جوهري بين الخلايا الاوّليّة التي تتركّب منها الاجساد وان الحيّ منهـا يظهر كاليت . فيا لهُ من دليل سفسطيّ كأنّ الحياة تقع تحت العيان او يمكن نظرها في غير مفاعيلهـا فـاء اذن ظنّ الكاتب وبنى كتابهُ على شفير هارٍ ج . لوثنك

S. Arrhénius: Le destin des Étoiles, études d'Astronomie physique, *Trad. franç. par* T. Seyrig. 1 *Vol., in*-16, *Alcan*, 1921

مصير الكواكب

مؤلف هذا الكتاب اسوجيّ واحد مشاهير الفلكيين لهُ في علم الفلك تآليف عدّة منها كتابه المعنون بتطوّر العالم وكتابهُ الموسوم بحياة الكون . وها هوذا قد جمع في هـذا الكتاب الجديد الصغير الحجم عدّة معلومات عن الكواكب أتّصل اليهـا العلماء منذ عهد قريب . فمن ذلك تعريف المجرّة وتكوين النجوم عن مادّتها السديميّة يليهِ فصول عديدة في تركيب النجوم وحركاتها ثم في الآثار الجوّيّة والمجرّتها ثمّ ابحاث في سيّارات نظامنا الشمسيّ وما يُعرف عن كلّ منها لاسيّما عطارد والمرّيخ والزهرة ويفند ما شاع عن اقنية المرّيخ وسكّانهِ ويثبت الشبه بين الزهرة حاضراً وارضنا في اطوارها الجيولوجيّة الاولى على خلاف عطارد والمرّيخ اللذين هربا ويُعلنان لاهـل ارضنا ما ستصير اليهِ سيّارتنا اذ تنطفئ فيها الحياة . وكأني بقارئ هـذا الكتاب يأخذهُ العجب من اعمال الخالق فيردّد مع النبي داود . «السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديهِ » ج . ل

Une Française d'Alsace : Mlle Louise Humann par Mme Paul Fliche, Paris, P. Téqui, in-12, XV-189, 1921. Prix. 3F, 50

الآنسة لويزة هومان الفرنسويّة الالزاسيّة

انّ الله يظهر قوّتهُ عند فشل البشر وعجزهم فيوصل الى العالم نفوساً مملوّة من روحهِ الالهي يعالج بها ادواء العـالم . والآنسة لويزة هومان احدى هذه النفوس التي ادّت لوطنها بلاد الالزاس ولدينها الكاثوليكيّ خدماً لايفي بها احصاء فانّها ولدت

وعاشت في ايّام الثورة الفرنسويّة وعايشت ما حلّ على فرنسة في غضونها من البلايا فوقفت نفسها للدفاع عن الايمان والآداب دون ان تبالي بماكسة البشر ومعاداتهم حتّى بلغت الى رفع منارة الدين بعد هبوطها وارتدّ على يدها كثيرون من الضالّين الذين جاهدوا معها الجهاد الصالح فرأت قبل وفاتها سنة ١٨٣٦ انّ الله كلّل مساعيها بتعزيز المبادي المستقيمة التي كانت من اصدق انصارها . وهذا الكتاب يحتوي تفاصيل حياتها البارّة المثبتة قول الرسول انّ الله يختار مستضعف هذا العالم ليخزي الاقوياء. ل . ش

NOTES LEXICOLOGIQUES sur le Vocabulaire Maritime de Rabat et Salé par Louis Brunot. *Paris, E. Leroux*, 1920, XVI-153, *in*-8

معجم الالفاظ الجارية بين البحريّين في رباط وسلا

مرّ لنا في المشرق (ص ٤٦٨) وصف الكتاب الذي ألّفهُ المستشرق لويس برونو في التقاليد البحريّة والاعمال الوطنيّة الجارية في بلاد مرّاكش وخصوصاً في مرفأي رباط وسلا وها هوذا اضاف اليهِ كتاباً لغويًّا جمع فيهِ كلّ الالفاظ التي سمعها هناك من افواه النوتيين ودوّنها على ترتيب حروف المعجم واضاف اليها شروحاً باللغة الفرنسويّة لئلّا تأخذها بعد حين يد الضياع . فنعم العمل الذي يفيد تعريف اللهجات الخصوصيّة واصولها التاريخيّة . ونتمنّى ان يقوم في بلادنا من يحذو حذو المسيو برونو ويؤلّف معجماً للّهجات العاميّة في سوريّة كما فعل حضرة العلامة الاب ميشال فنالي للغة وطنهِ كفر عبيدا فنال شكر العلماء. ل . ش

The Maronite Liturgy of the Holy Sacrifice in the Syriac-Maronite Rite, *translated by* Jos. P. Gorayeb, Buffalo, 1915, in-16, pp.60

ان العدد العديد من مهاجري الموارنة الى اميركة الشمالية قد ألفت اليهم ابصار اعلها ولاسيما الكاثوليك منهم فتراهم يقبلون الى كنائسهم ويأنسون بحضور رُتبهم الشرقيّة فتمنّوا غير مرّة لو نُقلت صلوات قدّاسهم الى الانكليزيّة فانتدب حضرة الخوري فرنسيس شمالي احد مواطنيهِ الاب اليسوعي يوسف غريّب السدادوري من اساتذة مدرسة بوفالو لهذا العمل فاجاب اليهِ بطيب الخاطر . وقد سُررنا لهذا العمل وكان بودّنا ان يترجم اكليروس كلّ طائفة صلواته الى الافرنسيّة كما فعل الروم الكاثوليك ليزيد اقبال الفرنسويين على طقوسنا الشرقيّة ولاسيّما في الحفلات

الرسميَّة التي يُدعى اليها ممثلو الدولة الفرنسويَّة . وكثيرًا ما اعلنوا برغبتهم في ترجمتها ليجتنوا من طيب اثارها . وعلى كلّ حال نشكر حضرة الاب غريب لقيامه بهذه الخدمة في المهاجرة لابناء وطنه الذين لا يعرفون السريانيَّة وللاجانب معاً

تقاليد فرنسا في لبنان

للمسيو ريستلهوبر نقلهُ الى العربيَّة القس بولس عبُّود

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢١ (ص ٣٤١)

وقد وصفنا سابقاً (المشرق ١٨ [١٩٢٠] و ٧١٢) هذا الكتاب في اصله الفرنساوي وبيَّنَّا ما يستحقُّهُ من الاعتبار بما يتضمَّنهُ من الفوائد العظيمة واشرنا الى بعض ما وقع فيه من الاغلاط التاريخيَّة فنثني على همَّة الخوري بولس عبُّود الذي نقلهُ الى العربيَّة ليستقي من مواردهِ العذبة اهل الوطن . أمَّا ما وقع فيهِ المؤلف من الخطأ فقد وعدنا حضرة الناقل بان يخصّ لتصحيحهِ بحثاً ارجأهُ الى فرصة ثانية . وكلّ آتٍ قريب

تاريخ المسئلة الشرقيَّة

تأليف حسين لبيب استاذ التاريخ بمدرسة القضاء الشرعي

طُبع بمطبعة الهلال سنة ١٩٢١ (ص ١٢٠)

ظنّ البعض انَّ الحرب الكونيَّة الاخيرة بضربها على الممالك العثمانيَّة تحلّ المسئلة الشرقيَّة العويصة التي تشغل الافكار منذ ثلاثمائة سنة الَّا انَّ سياسة الحلفاء لم ترضَ بحلّها نهائيًّا لما ينجم من ذلك من المشاكل بين الدول الاوربيَّة ولاسيَّما بعد نهضة مصطفى كمال ومطالبتهِ بحقوق قومهِ الاتراك وانتشاب الحرب بينهُ وبين اليونان والله اعلم كيف تكون نهايتها . وقد أحسن حسين افندي لبيب بتدوين تاريخ هذه المسئلة ليعرف الشرقيُّون اصولها ويميِّزوا بين غثِّها وسمينها وقد ألَّف علماء الغرب عدَّة كتب في هذا الموضوع مرَّ لنا ذكر بعضها ل . ش

مختارات جرجي زيدان (الجزء الثالث)

طُبعت في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٢١ (ص ١٥٦)

انتقدنا في بعض اعدادنا الماضية (ص ١٤٧) الجزئين الاوَّلين من هذه المنتخبات

التي تدلّ على سعة معارف صاحبها وتوقُّد ذهنه في إدراك الامور مع ما لحظنا فيهما من الآراء الضعيفة في بعض المسائل الفلسفيَّة والاجتماعيَّة . وهذا الجزء قد قُدَّ من ذاك الصخر فيه طرفة من محاسنها ومسحة عن مساوئها . فمثلا لا نوافق فيه المرحوم جرجي زيدان مقالتهُ عن التعليم الالزامي (ص١٣) وقد اثبتنا في المشرق (١٩٢١ : ص٤٣٥) ما في الإجبار من الأضرار . وكذلك قولهُ في تعليم العلوم العصريَّة في اللغة العربيَّة بيَّنَّا ما فيه من الخلل من عدَّة وجوه . على ان مقالات فقيد الآداب جرجي زيدان تفوق على كثير من امثالها برزانة كاتبها واعتداله وبيانه فانَّهُ احد الذين ساعدوا كثيراً في ترقية الآداب العربيَّة فجازاهُ الله خيراً ل . ش

﴿هدايا أُرسلت الى المشرق﴾ ١ مدحة الحور فسقفوس جرجس شلحت في مار افرام كنَّارة الروح القدس . طبعت بمصر سنة ١٩٢١ (ص٨) مذيَّلة بشروح لغويَّة وتاريخيَّة

٢ برنامج شركة القديس منصور دي بول في حلب عن السنتين ١٩١٩—١٩٢٠ وهما السنتان الحادية والثانية والعشرون لتأسيسها . طُبع في مطبعة الثبات في حلب (ص٢٩)

٣ حزب العمَّال في دولة لبنان : القسم الاوَّل البروغرام والقانون الاساسي طبع في مطبعة جدعون في بيروت (ص ٨ و 7)

شذرات

﴿الذباب﴾ من المعلوم لدى الخاصة والعامة ان الذباب من اسرع وشرّ النقَّالة للامراض الوبائية فيفتك كل سنة بمئات الآلاف من البشر . وتأييداً لتلك الحقيقة الراهنة نذكر الحادث الآتي . قد أُحصي في ذبابة واحدة ٦،٦٠٠،٠٠٠ جرثومة لامراض شتَّى منها الدوسنطارية والتيفوس والهيضة والطاعون الخ . الذبابة تعيش نحو خمسة اسابيع ليس الَّا ومع ذلك ففي هذا الوقت القصير تلد نسلاً . وهذا يلد غيره وهلمَّ جرًّا حتى النسل الثاني عشر فيبلغ عدد كل افراد الذباب المتناسلين على النمط السابق وصفه زهاء ١،٠٩٦،١٨١،٢٤٩،٣١٠،٧٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ويسوغ التعبير عن هذا الرقم الهائل على الوجه التقريبي الآتي وهو مليارٌ مضروب مرَّتين في مثله . ولو بقي كل هذا الذباب حيًّا لكان مجموعه يساوي حجم الكرة الارضيَّة ا

التي تدلّ على سعة معارف صاحبها وتوقُّد ذهنه في إدراك الامور مع ما لحظنا فيهما من الآراء الضعيفة في بعض المسائل الفلسفيَّة والاجتماعيَّة . وهذا الجزء قد قُدَّ من ذاك الصخر فيه طرفة من محاسنها ومسحة عن مساوئها . فمثلا لا نوافق فيه المرحوم جرجي زيدان مقالتهُ عن التعليم الالزامي (ص١٣) وقد اثبتنا في المشرق (١٩٢١ : ص٤٣٥) ما في الإجبار من الأضرار . وكذلك قولهُ في تعليم العلوم العصريَّة في اللغة العربيَّة بيَّنَّا ما فيه من الخلل من عدَّة وجوه . على ان مقالات فقيد الآداب جرجي زيدان تفوق على كثير من امثالها برزانة كاتبها واعتداله وبيانه فانَّهُ احد الذين ساعدوا كثيراً في ترقية الآداب العربيَّة فجازاهُ الله خيراً ل . ش

﴿هدايا أُرسلت الى المشرق﴾ ١ مدحة الحور فسقفوس جرجس شلحت في مار افرام كنَّارة الروح القدس . طبعت بمصر سنة ١٩٢١ (ص٨) مذيَّلة بشروح لغويَّة وتاريخيَّة

٢ برنامج شركة القديس منصور دي بول في حلب عن السنتين ١٩١٩—١٩٢٠ وهما السنتان الحادية والثانية والعشرون لتأسيسها . طُبع في مطبعة الثبات في حلب (ص٢٩)

٣ حزب العمَّال في دولة لبنان : القسم الاوَّل البروغرام والقانون الاساسي طبع في مطبعة جدعون في بيروت (ص ٨ و 7)

شذرات

﴿الذباب﴾ من المعلوم لدى الخاصة والعامة ان الذباب من اسرع وشرّ النقَّالة للامراض الوبائية فيفتك كل سنة بمئات الآلاف من البشر . وتأييداً لتلك الحقيقة الراهنة نذكر الحادث الآتي . قد أُحصي في ذبابة واحدة ٦،٦٠٠،٠٠٠ جرثومة لامراض شتَّى منها الدوسنطارية والتيفوس والهيضة والطاعون الخ . الذبابة تعيش نحو خمسة اسابيع ليس الَّا ومع ذلك ففي هذا الوقت القصير تلد نسلاً . وهذا يلد غيره وهلمَّ جرًّا حتى النسل الثاني عشر فيبلغ عدد كل افراد الذباب المتناسلين على النمط السابق وصفه زهاء ١،٠٩٦،١٨١،٢٤٩،٣١٠،٧٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ويسوغ التعبير عن هذا الرقم الهائل على الوجه التقريبي الآتي وهو مليارٌ مضروب مرَّتين في مثله . ولو بقي كل هذا الذباب حيًّا لكان مجموعه يساوي حجم الكرة الارضيَّة ا

ولكن اغلبه يهلك قبل انقضاء الخمسة الاسابيع. فتأمل في حكمة الخالق وعنايته بالبشر

﴿إكرام العلماء في البصرة﴾ قرأنا في مواسم الادب للسيد جعفر البيتي (٢ : ١٠٤) ما حرفهُ قال: ضاقت المعيشة على النضر بن شميل (العالم اللغوي الكبير) فخرج يريد خراسان فشيَّعهُ من اهل البصرة ثلثة آلاف رجل ما منهم الا محدث او نحوي او لغوي او عروضي او إخباري فلما صار بالمربد جلس ثمَّ قال: «يا اهل البصرة يعزُّ عليَّ فراقكم فوالله لو وجدتُ كلَّ يوم كيلة باقلاء ما فارقتكم». فلم يكن منهم من يتكفَّل لهُ ذلك. ذكرهُ ابو عبيدة في مثالب اهل البصرة والنضر هذا من اصحاب الخليل توفي سنة ٢٠٤ (٨١٩ م)

﴿تاريخ ضريح المرحوم جرجس همَّام﴾ اوقفنا صديقنا اسعد افندي رستم على هذه الابيات التي نظمها قبل وفاته المرحوم جرجس همَّام لتُحفر على قبرهِ وضمَّنها ايمانهُ بالقيامة ودار الخلود:

كأني وقد أمسيتُ في التبر ثاويا ... وحولي اصحابي واهلي بواكيا
يذوبون من فرط الكآبة والأسى ... ويسقون من ماء الدموع ثرايا
اقولُ لهم والبَيْنُ قد حال بيننا ... سيبقيني ربّي ويجبي عظاميا
ويجمعني في من أحبَّ فتلتقي ... ونحرز في دار الخلود الامانيا

﴿ترقّي الرسالات الكاثوليكيَّة في الصين﴾ وقفنا على آخر احصاء المتنصرين في الصين بهمَّة المرسلين الكاثوليك فاذا هو بالغ في السنة ١٩٢٠ : ٢٩٤،٤٨٤،١ وفي هذه السنة قد زاد نحو ١٠٠،٠٠٠ وكان عددهم سنة ١٩٠٦ اقل من مليون. فناهيك به دليلاً على نجاح الدين المستقيم في تلك البلاد المتكمة في ظلام الوثنيَّة

﴿وسام جوقة الشرف لمدير فرصة شنغاي﴾ روينا (ص ١٥٥) ما نقلتهُ مجلَّة المقتطف عن الامتيازات التي نالها الآباء اليسوعيُّون مديرو مرصد زيكاوي وقد انبأتنا رسائل الصين عن تفاصيل الحفلات التي أُقيمت في قنصليَّة فرنسة بحضور الجالية الافرنسيَّة واشراف الدولة الصينيَّة بنسبة تعليق وسام جوقه الشرف على صدر الاب فروك الذي منذ ٢٥ سنة يؤدي للدول الاوربيَّة خدماً لا تُحصى بنشرهِ المراقبات الفلكيَّة والارصاد الجويَّة التي عليها يعتمد ارباب السفن الحربيَّة والتجاريَّة في بحار الصين. وكلهم لسان واحد في اطراء المرسلين الكاثوليك على اختلاف دولهم واديانهم

﴿بعثة علميَّة في اقطار الصين﴾ ومما استفدنا من رسائل الصين انَّ حضرة

الاب ليسان (Licent) اليسوعيّ من كبار العلماء الطبيعيين تجوّل في هذه السنين الاخيرة في عدّة ولايات صينيّة لدرس طبيعيّاتها لاسيّما ولايتي خنسو وكوكونوز فجمع من المعلومات ما يؤمّل نشرهُ في عدّة تآليف عن جغرافية البلاد وتعريف عناصر اهلها وبيان خواصّها المدنيّة والجيولوجيّة والنباتيّة والحيوانيّة وكلّ ما يصلح لترقية الصين في الاقتصاديّة وقد جمعهُ من الامثلة النباتيّة يبلغ علوّهُ اربعين متراً ومن الهوام والحشرات في العلب مترين مكعّبين ومن جلود الطيور لتصييرها ٢،٥٠٠ جلد ما عدا الفي صورة فوتغرافيّة لغرائب تلك البلاد . فأثنت الدولة الفرنسويّة على عملهِ هذا واتّسعت الجرائد والمجلّات العلميّة في وصف كلّ هذه الاكتشافات

﴿ الحيّات المطلقة ﴾ من ظريف ما اخبر بهِ المقريزي في الخطط (٢ : ٣١٩) عن احد الرُواة ما ننقلهُ تفكهةً للقرّاء قال : حدّث الامير ابو علي تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال : اجتمعنا ليلةَ جمعة مع جماعة من الامراء في جامع القرافة في مصر . وعملنا سماطاً وجلسنا واستدعينا بن في الجامع فاكلنا ورفعنا الباقي الى بيت قيّم الجامع ثمّ تحدّثنا وغنا وكانت ليلةً باردة فنمنا عند المنبر . واذا انسان نصف الليل ممتن نام في هذا الجامع من عابري السبيل قد قام قائماً وهو يلطم على رأسهِ ويصيح : وا مالاه ! وا مالاه ! فقلنا لهُ : ويلك ما شأنك ؟ وما الذي دهاك ؟ ومَن سرقك ؟ وما سُرق لك ؟ فقال : يا سيّدي انا رجل من اهل طرا يقال لهُ ابو كريت الحاوي أمسى عليّ الليل ونمتُ عندكم واكلتُ من خيركم وسّع الله عليكم ولي جمعة اجمع في سلّتي من نواحي طرا والحيّ الكبير والجبل كلّ غريبةٍ من الحيّات والافاعي ما لم يقدر عليه قطّ حاوٍ غيري وقد انفتحت الساعة السلّة وخرجت الافاعي وانا نائم لم اشعر . فقلت لهُ : ايش تقول . فقال : اي والله يا للنجدات . فقلنا : يا عدوّ الله قد اهلكتنا ومعنا صبيان واطفال . ثمّ انّ نبّهنا الناس وهربنا الى المنبر وطلعنا وازدحمنا فيهِ ومنّا من طلع على قواعد العمد فتسلّق وبقي واقفاً . واخذ ذلك الحاوي يتجسّس وفي يدهِ كفّ الحيّات ويقول : قبضتُ الرقطاء . ثمّ يفتح السلّة ويضع فيها ثمّ يقول : قبضتُ امّ قرنين . ويفتح ويضع فيها ويقول قبضتُ الفلانيّ والفلانية من الثعابين والحيّات وهي معهُ باسمائها ويقول «ابو تليس وابو زعير» ونحن نقول : ايه . الى ان قال : «بس انزلوا ما بقي عليّ همّ ما بقي يهمّكم كبير شي . قلنا : كيف . قال : ما بقي

الأالبتراء. وامّ رأسين انزلوا فا عليكم منهما. قلنا: كذا عليك لعنة الله يا عدوّ الله لا نزلنا للصبح فالغرورُ من تغرّهُ. وصحنا بالقاضي ابي حفص القيم فأوقد الشمعة ولبس صباغات الحلبي خوفاً على رجليهِ وجاء فنزلنا في الغوْ وطلعنا المئذنة فنمنا الى بكرة وتفرّق شملُنا بعد تلك الليلة. وجمع القاضي القيّم عياله ثاني يوم وادخلوا عصيًّا تحت المنبر وسمّاً وشالوا الحصر فلم يظهر لهم شيْ. وبلغ الحديث والى القرافة ابن شعلة الكتاميّ فاخذ الحاويّ ولم يزل بهِ حتّى جمع ما قدر عليهِ وقال: ما اخلّيهِ الّا الى السلطان وكان الوزير اذ ذاك يانس الارمنيّ

وهذه القضيّة تُشبه قضيّةً جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر المعروف بابن حزابة وذلك انهُ كان يهوى النظر الى الحيّات والافاعي والعقارب وامّ اربعة واربعين وما يجري هذا المجرى من الحشرات. وكان في دارهِ قاعة لطيفة مرخمة فيها سلل الحيات ولها قيّم فرّاش حاوٍ من الحواة ومعهُ مستخدمون يرسم الخدمة وتنقل السلال وحطّها. وكان كلّ حاوٍ في مصر واعمالها يصيد ما يقدر عليهِ من الحيّات ويتباهون في ذوات العجب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريبة المنظر. وكان الوزير يثيبهم على ذلك اوفى ثواب ويبذل لهم الجُعل حتّى يجتهدوا في تحصيلها. وكان لهُ وقت يجلس فيهِ على دكّة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيُخرجون ما في السلل ويطرحونهُ على ذلك الرخام ويحرّشون بين الهوام وهو يتعجّب من ذلك ويستحسنهُ. فلمّا كان ذات يوم انفذ رقعةً الى الشيخ الجليل ابن المدبّر الكاتب وكان من اعيان كتّاب أيّامهِ وديوانهِ وكان عزيزاً عندهُ وكان يسكن الى جوار دار ابن الفرات يقول لهُ فيها: «نُشعر الشيخ الجليل ادام الله سلامتهُ انهُ لمّا كان البارحة عرض علينا الحواةُ الحشرات الجاري بها العادات انساب منها الى دارهِ الحيّة البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وابو صوفة ونمسا حداوا لنا الّا بعد عناء ومشقّة وبجملةٍ بذلناها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفّقهُ الله بالتقدّم الى حاشيتهِ وصبيتهِ بصون ما وُجد منها الى ان تُنفذ الحواة لاخذها وردّها الى سلالها». فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: «اتاني امر سيدنا الوزير خلّد الله نعمتهُ وحرس مدّتهُ بما اشار اليهِ في امر الحشرات والذي يعتمد عليهِ في ذلك انّ الطلاق يلزمهُ ثلاثاً ان بات هو واحد من اهلهِ في الدار والسلام»

أسئلة وأجوبة

س سأل الاخ دانيال الراهب اللبناني: ١ً ما هو هذا سفر المستقيم المذكور في كتاب يشوع بن نون (ف ١٠ ع ١٣) . ٢ً هل الآية الواردة هناك في وقوف الشمس والقمر كانت سابقاً في اصل الكتاب او كانت على هامشه فادخلها النسّاخ في المتن ؟

سفر المستقيم – آية وقوف الشمس

ج نجيب على (الاوّل) انّ سفر المستقيم هو احد الاسفار المفقودة من التوراة وقد ورد ذكرهُ هنا في سفر يشوع ثم في كتاب الملوك الثاني (ف ١ ع ١٨) وقد فسّرهُ البعض عن البرانيّة بسفر الصدّيقين واما في الترجمة السريانيّة فيدعى سفر التسابيح (ܣܦܪ ܕܫܒܚܬܐ) والظاهر انهُ كان مجموعاً من التسابيح التي كانوا يترنّمون بها في اعيادهم . ونجيب على (الثاني) انّ بعض المفسّرين يرون انّ آية وقوف الشمس بامر يشوع نُقلت من بعدهِ من سفر المستقيم فاعتُبرت من الوحي بتصديق الانبياء عليها

س وسأل مستفيد ما لنا ننظر الى الشمس عند شروقها وغروبها ولا نطيق النظر اليها في واسطة السماء

النظر الى الشمس في طرفي النهار وفي الظهيرة

ج السبب في ذلك انّ نور الشمس ينفذ في طرفي النهار طبقة من الجوّ اكثف واقلّ صفاء منهُ في الظهر بسبب الابخرة المتصاعدة من الارض عند الافق

س وسأل ايضاً هل يمكن وجود نور بلا حرارة او حرارة بلا نور

وجود النور والحرارة

ج لا يوجد عادةً نور بلا حرارة وانّما الحرارة لا تزيد دائماً بنسبة زيادة النور فان بعض الاجسام ساطعة النور قليلة الحرارة كبعض الانوار الكهربائيّة . اما الحرارة فكثيراً ما تحصل دون نور وقد تمكّن العلماء من تجريد اشعّة الشمس عن نورها مع ثبوت حرارتها المحرقة

ل . ش

***